لماذا تبقى الحقائق مكتومة عن الشعب الكردي

رسالة موجهة الى الفئات والكتل والاحزاب السياسية الكردية
والطبقة المثقفة الواعية والامة الكردية بصورة عامة، تشرح
ماغمض من الاحداث والملابسات السياسية التي رافقت
الثورة الكردية الكبرى والحزب الديمقراطي الكردستاني
والعوامل التي ادت الى فشل الثورة ودور الحزب
فيها، والعبر والتجارب المستخلصة من
النكسة، وما يتوجب عمله
في هذه المرحلة

بقلم
المهندس سعيد عبد الوهاب
١٩٧٧

عدنان الملوكي كتب

المدخـــــل

عندما اعتزمت اصدار هذه الرسالة ، كنت أدرك عن ثقة ماستحدثه من آثار متباينة في نفوس قرائها وكيف سيستقبلونها . هناك علي الاقل طائفتان سيكون حكمهما عليها مختلفا . فريق ظل بعيدا عن أحداث الثورة الصميمة قليـــل المعرفة أو عديمها بحقائقها الخفية ، سيدرك العجب وتعترية دهشة من المعلومات التي سأطرحها امامه بحيث تثير اهتمامه وتحرضه علي نشدان المزيد من التفاصيل والوقائع ، وتدعوه علي الارجح الي مطالبة اولئك القادة الذيـــن كانوا في مراكز المسوولية فيها بان يكشف كل منهم عن وجهة نظره ودوره في تلك الاحداث ، أين كان يقف منها وماذا كان رأيه في تلك المسألة او هذه . وبذلك سيكون القارى وضهم لاشك اصحاب القضية نفسها وابناؤها ـ رأيه القريب من الصواب عن الثورة ووقائعها واسباب فشلها وانهيارها . فريق آخر كان شديد القرب من الحزب والثورة وهم قادتها وقادة الحزب واعوانهم وذوو المسوولية فيهم . اولئك الذين كان مضمون هذه الرسالة بمثابة اتهام لهم ، اتهام بيد بالتقاعس والتقصير وينتهي بالخيانة وبين هذا وذاك تأتي الانتهازية والاستغلال والفساد وما اليها . لعل هذا الاتهام سيدفع بعضهم الي مصارحة الشعب الكردى بالحقيقة عن الادوار التي مثلوها وعرض المبررات لسلوكهم . وبودى ان يفلحوا في دحض مـــا ذكرت عنهم . او اكمال ماغفلت عن جزئياته او تصحيحه وبذلك يتم التعاون علي رسم الصورة الحقيقية لمأساة فشل الثورة الكـــردية واستخلاص النتائج والعبر الصائبة لاجتناب الاخطاء في المستقبل .

ان الكاتب يتمنى من صميم قلبه ان يبادر اولئك الذين تسنموا مناصب قيادية في الثورة ومازالوا مصرين علي مواصلـــة النضال والعمل الوطني ان يكشفوا ماخفي عني وعن غيرى لتبديد الضباب ضباب الشك الذى غلف الجميع بغير استثناء . انهم سيقدمون خدمة مزدوجة خدمة لانفسهم وخدمة لشعبهم المستعد للغفران ونسيان الخطأ والتقصير اذا ما وجد التفاني والاخلاص والعمل الصادق من المخطئين والمقصرين . تحقيقا لوحدة الصف ولم الشعث في اطـــار أخوى وفاقي . ولاولئك الذين لايشاركون فعليا فوق أرض الوطن في معركته لعل أعظم خدمة يقدمونها له هي كشـــف الحقائق له لا الانهماك في تأليف الاحزاب والكتل والجماعات والانشغال بالمعارك الجانبية ذات الطابع الشخصـــي المتخلف بخطر المصلحة العامة . فلاشك ان هذا التناحر في الخارج والزيادة في الانشطار والانشقاق سيكون لـــه أثره السيء علي المعركة التي تدور رحاها الآن وهي معركة يجب ان يحرص كل واحد كائنا من كان علي ابقاء جذوتها متقدة . لان فشلها ولاسيما اذا كان بعضه سيعزى الى خلاف وشقاق الاطراف الوطنية في الخارج ، سيكون الطامة الكبرى والبلية العظمي التي تفوق الاولى . وحدها سيرقد المشاع الكـــردى الوطني رقدة طويلة علي اغلب الظن .

ولهذا فان قصدى من العرض التاريخي ـ السياسي الذى بسطته هنا ليس اثارة مجرد الاهتمام ، ولا لابراز نفسي ظرفيا ولالفائدة شخصية ابتغيها بل ليكون درسا وعبرة للاجيال القادمة ولاولئك الذين رفضوا بابا وشمم ان يحنوا رأسهم للهزيمة ويستسلموا لها .

ان نجاحي في ابلاغ رسالتي هذه الي العناصر النبيلة الواعية ، العصرة علي اسثناف النضـــال مهما كان جزئيـــا فهـــو سيعوضني عن النقد والتجريح الذى أتوقعه حتما من اولئك الذين سيستنكرون اقوالي علنا وسيتفقـــون معي سرا ولايجرؤون علي التصريح لعلة ما في نفوسهم

اواخر ١٩٧٠

الباب الاول

نبذة عن الاحوال السياسية
التي رافقت تأسيس الحزب ومروره في مراحل التكوين
النضالي وقيادته الثورة الكردية الكبرى حتى تصفيتها

كان تأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق ضرورة سياسية حتمتها الظروف المرحلية لنضال الشعب الكردي في سبيل التحرر والوصول الي حقه في الحياة التي يختارها .

لهذه الظروف وجهان ، وجه خارجي ووجه داخلي . فبعد الحرب العالمية الثانية نشطت حركة التحرر في جميع انحاء العالم وهبّت الشعوب المستبعدة والمغلوبة علي امرها من سباتها لتقرير مصيرها وتغدو سيدة نفسها . وقد تهيأت لها الاسباب ومن تلك (١) هزيمة دول المحور التي كانت تهدف من شنها الحرب سيادة شعوب العالم لاستغلالها واستنزاف مواردها فاضطرت دول المعسكر الثاني (التي كانت تدافع هي الاخرى عن مصالحها الي استجلاب عطف الشعوب الاخرى الي قضيتها لضمان تعاونها معها) وتبنت شعارات الحرية وبذلت الوعود للشعوب المستعبدة بتقرير المصير والتحرر . (٢) قيام هيئة الامم المتحدة (٣) الاعلان العالمي لحقوق الانسان الذي كان يتضمن تسليم الدول المنتصرة مبدئيا بحقوق الشعوب كافة في الاستقلال وتقرير المصير .

وانعكس أثر ذلك في بلادنا العراق . اذ ارغمت الحكومة الرجعية في العام ١٩٤٦ على اجازة الاحزاب السياسية وتفهمت طليعة الشعب الكردي الواعية طبيعة هذه الظروف المواتية ولحقت بقافلة الشعوب السليمة الحقوق في طريق الكفاح من اجل التحرر . الا ان الشعب الكردي كان ينفرد بوضع خاص لاتشاركه فيه اية من الشعوب المناضلة الاخرى . فهو جزء بين دول تامة السيادة مستقلة كل منها فحسب بنفوذ خاص من الدول الكبرى وبنوع من التوازن المصلحي تحرص علي ان لايصيبه الخلل في ميدان الصراع العالمي علي مناطق النفوذ بعد الحرب العالمية الاخيرة مباشرة . ان هذه الدول فضلا عن ذلك هي اعضاء في الهيئة الدولية التي كانت تضمن لها حدودها الجغرافية بموجب ميثاق انشاء هذه الهيئة الدولية مماجعل حماية تلك الطليعة الواعية للشعب الكردي من أشق المهمات ووضعها علي مفترق طريق نضالي حافل بالعراقيل والاهوال كما سنرى .

واما الوجه الداخلي لتلك الظروف فهو متعلق بتراث الحركة الفكرية والثورية الكردية وتجاربها السالفة وبواقع حال الشعب الكردي واستعداده الروحي علي ضوء تكوينه الاجتماعي والطبقي . فمنذ ان بدأت النهضة القومية واخذت ثوراتها تتوالى خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر ومابعده ، لم يكن ثمة مناص من ان تتخذ طابعا محليا ذا مفاهيم ضيقة جدا احيانا لاتتكشف عن الاهداف الحقيقية . ولم تقم ثورة ما علي نطاق رقعة كردستان المجزأة كلها ولاحركة فكرية سياسية .

اصبح هذا في القرن العشرين عائقا كبيرا وعاملا مثبطا لم يكن في وسع اية قيادة تلافيه مهما أوتيت من الحزم والكياسة والقوة والحذق السياسي بلا شك الحد من تأثيره علي اسلوب الكفاح ولا التغاضي عنه بوصفه عاملا جوهريا عند تقييم تلك الانتفاضات الفاشلة . فخطر تحالف الدول التي تحكم الشعب الكردي كان خطرا واقعيا يواجه اية حركة كردية . بل ولا يمكن حتي لقصري النظر التقليل من شأنه او جعله في المرتبة الثانية عند حساب احتمالات النجاح . وما ميثاق سعد آباد (١٩٣٧) . وما اطباق القوات العسكرية الايرانية التركية العراقية علي القرلت البارزانية وتعاونها على مطاردتها في العام ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ بالامس القريب .

ان طبيعة المرحلة النضالية التي كان يمر بها الشعب الكردي في العراق كانت تحتم عليه تسليم زمامه الي قيادة سياسية ذات نوع خاص تحمل شعارات سياسية خاصة . لقد فشلت التكتلات والاحزاب السياسية الكردية التي سبقت الحزب الديمقراطي الكردستاني (ب . د . ك) في اداء واجبها الوطني (وتلاشت تلقائيا او بعد خدمات وانحلت ذاتيا معترفة بعجزها لانها لم تضع في الحساب الواقع الذي ذكرناه . ولانها كانت تحتقر وتريد ان تقنع الآخرين بان (الايديولوجية) او (النظرية السياسية) التي يتبناها اي تجمع منظم سياسي كردي هما كافيان لبناء حركة وطنية صحيحة وفعالة وبالتالي لظهور قيادة ناجحة تحقق للشعب الكردي اماني القومية التحررية . وراحت الانظار قبل الحرب العالمية الثانية وأثناءها وبعدها تتجه الي النظرية الاشتراكية . وكان حزب (رزكاري) الذي سبق الحزب الديمقراطي الكردستاني أبلغ مثل يضرب لعدم

واقعية هذا المنحي . ففي تشرين الاول ١٩٤٥ تألف الحزب الشيوعي الفرع الكردستاني في العراق علي انقاض ومن بقايا الحزب الشيوعي المنحل والمنقسم علي نفسه وعرف باسم (حزب شورش = الثورة) . وبعد ان فشل هذا التكتل الجديد في مفاوضته مع افراد الحزب الشيوعي المنقسم علي نفسه وبعدما ادرك جماعة (شورش) ان فرصة النجاح في بعث روح النضال لدى الشعب الكردى ضعيفة اذا ما بنيت علي أسس اشتراكية صرفة ووفق منهاج يساري بحت سلموا بفكرة تأسيس حزب يضم معظم العناصر الوطنية والقومية الواعية تحت ظل شعارات تحررية كردية بعيدة عن الصيغ اليسارية ظاهرا . فتم قيام حزب (رزكارى كرد) .

لكن سرعان ما اتضح لجماهير الشعب الكردى في العراق بان اعضاء من حزب (شورش) كانوا يقودون الحزب الجديد و يحررون جريدته السرية ولذلك عد واحدة من الواجهات الشيوعية او كما عبر عنه في حينه (جبهة وطنية كردية اقتضتها الضرورات المرحلية) اعني نمطا من انماط تلكم الجبهات (الديمقراطية) التي تألفت في بعض الدول الاوروبية المحررة من الغزو النازى لاجل تغطية ضعف الاحزاب الشيوعية فيها المدعمة بالجيش السوفييتي المحتل ، تمهيدا لاستيلاء ذلك الحزب علي السلطة تحت غطاء (الجبهة الديمقراطية)

لم يكن هذا التاكتيك مجديا ولا صحيحا في كردستان العراقية . ووضح هذا عندما تفكك حزب (رزكارى) قبل ان يضطلع بعمل جدى ، وانطلق بعض اعضائه يدعم (باسمه) النضال المسلح الذى قاده مصطفي البارزاني ١٩٤٤ – ١٩٤٥ . وترك بعضه العمل السياسي وانضم فريق ثالث منه الي الحزب الشيوعي العراقي فرع كردستان . والقت البقية الباقية منه نفسها في احضان حزب اوجلان (آزادى) .

كانت جماعة "آزادى" هذه علي خلاف شديد مع جميع العناصر والاحزاب السياسية الكردية القائمة لانها اعلنت عدم تأييدها للنضال المسلح الشامل في العام ١٩٤٥ . لكن لم يكن لمعاداة هذه الجماعة للانتفاضة المسلحة تأثير يذكر .

ان التكتل الكردى الثاني الذى ايد ذلك النضال وكان لتأييده اهمية . هو بقايا حزب (هيوا) الذى كان المهندس (يونس عبد القادر) آخر قائد له . وما كان التحاق الضباط الشهداء الاربعة بالانتفاضة الا وجها من اوجه ذلك التأييد .

انضمت كتلة من حزب (رزكارى) الي (الكومله ى زيان كورد) التي اصبحت عنوانا للنضال الكردى في سائر كردستان وكان تأسيسها في (مهاباد) . اذ مالبث ان انبثق لها فرع في كردستان العراقية (السليمانية) . هذا الفرع غير عنوانه عند تغيير عنوان الحزب الام فاصبح يعرف باسم (حزب ديموكراتي كوردستان) . ان هذا الفرع مع بقايا الاحزاب والكتل السياسية الاخرى قام بتأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني العراقي في اوائل حزيران ١٩٤٧ وعرف رسميا باسم (بارتي ديموكراتي كوردستان عراق) وعدل بعدئذ الي (بارتي ديموكراتي كوردستان عراق) ثم الي (الحزب الديمقراطي الكردستاني) عندما أجيز رسميا في كانون الثاني ١٩٦١ ايام حكم اللواء قاسم .

+++ +++ +++

هناك ضرورة لاعادة القول باننا ننوى ان نضع الحقائق بالشكل الذى يمكننا معه استخلاص النتائج استخلاصا منطقيا تحقيقا للفكرة التي دفعتنا الي اصدار هذه الرسالة (وهي محاولة الكشف عن الاسباب الحقيقية التي ادت الي فشل ثورة لانظير لها في تاريخ الشعب الكردى ببيان الاخطاء والعثرات دون اللجوء الي العموميات والمطلقات ونشر الاتهامات بشكل اعتباطي لتكون بمثابة درس وعظة لسائر ابناء هذا الشعب المغلوب علي امره . اننا لانريد قط ان نتخذ من جماعة معينة او افراد بالذات كباش فداء كما يحاول بعضهم ان يفعل آلان لاجل انتشال سمعاتهم من عار الاخطاء الخطيرة التي ادت الي هذه الكارثة .

اننا وقبل كل شيء نؤكد احترامنا واهتمامنا بكل الفئات الكردية التي تحاول آلان شق طريق لها في حقل العمل الوطني بالاخلاص والتجرد المنشودين منها وان اختلفت الطرق وتباعدت وجهات النظر والمبادئ لاننا نؤمن بان هذه الطرق ستتطهر (ان كانت منوبة) لتلتقي بالاخير عند وحدة الهدف يوما ما . بالضبط مثلما التقت الكتل الوطنية الكردية في مرحلة قيام الحزب الديمقراطي الكردستاني ، نتيجة محتومة املاها وسيمليها دوما واقع الشعب الكردى . تلك الواقعية التي كانت تقضي بايجاد نوع من الائتلاف او الاتحاد الوطني لجميع العناصر الوطنية العاملة وتحتضن سائر طبقات الشعب الكردى المتحمسة تحت شعار موحد وهو التحرر علي أسس ديمقراطية . نقول علي أسس ديمقراطية ونشدد علي هذا القول لاننا لانعتقد اي بشر لحزب ذى قيادة فوقية علي أسس قومية بحتة أن ينجح في شق طريقه الي قلوب ابناء الشعب الكردى وادارة دفة الكفاح السياسي له مثلما لم يكن في مقدور اية قيادة قائمة علي نظرية طبقية ان تنجح في تعبئة جماهير الشعب الكردى تعبئة ثورية شاملة فضلا عن التعبئة الفكرية بسبب المرحلة الاجتماعية التي يعيشها الشعب الكردى حاليا . ان هذا الواقع

في رأينا ، قائم حتي الآن ولم تتغير الظروف تلك التي وضعت قيادة هذا الكفاح في يد الحزب الديمقراطي الكردستاني .

كان معظم جماهير الشعب الكردي في العراق ـ خلا المدن يعيش تقريبا بمعزل عن حياة العصر ، مجتمعاته البدائية تقبع وراء سبع سلاسل من الجبال الوعرة المرتفع وخلفها مهملة من قبل الحكومات العراقية المتعاقبة الا بقدر ماكانت تستخدمه من وسائل القمع العنيف في جبائية الضرائب وسوق المجندين للخدمة العسكرية . الاغلبية الساحقة فلاحون والطبقة العاملة لا اثر لها. اعني ان التكوين الطبقي الشعب الكردي لا يتفق مطلقا مع التكوين الطبقي الذي تشترطه المادية الديالكتيكية وتحتم توفره أساسا لقيام الثورة . فالعمود الفقري للثورة بمفهوم هذه النظرية هو (الطبقة العاملة) . وفي كردستان العراق طبقتان فحسب طبقة الفلاحين التي كانت تحكمها طبقة الاقطاعيين وملاكي الارض وفق تقاليد متوارثة صارمة ويدعم من السلطة وبين هاتين الطبقتين راحت تتكون طبقة كاسبة محدودة الافق تعيش في القصبات والقرى والمدن تعمل بصورة رئيسة كوسيط اقتصادي بين مجاهل كردستان والعالم الخارجي وترسل ابناءها الي المدارس ثم الكليات بفضل صلاتها الاجتماعية وامكاناتها المالية . وعلي عاتق هذه الطبقة وبعض الفئات الاقطاعية المشيخية الوطنية وابنائهما الذين أصابوا حظا من العلم والثقافة وتشربوا الافكار الوطنية وقع عبء قيادة الشعب الكردي فكريا وهمه اعداده للنضال . وكل هذا الواقع يتنافي مع الصيغ الاشتراكية .

لقد ادركت القيادات المختلفة للحركة الكردية الوطنية في العراق بعد الحرب العالمية الثانية وظهور اليسار بشقيه المعتدل والمتطرف علي مسرح السياسة العالمية ادركت وبعد التجارب العديدة المستوحي اغلبها من واقع سياسية الحكومات العراقية الداخلية فضلا عن السياسة العالمية ـ ان لا امل لها في النهوض باعباء اى كفاح سياسي وفي قيادته علي اسس المادية الديالكتيكية الصرفة ولذلك تسلم قيادة هذا الكفاح الحزب الديمقراطي الكردستاني .

فهذا الحزب كان واقعا حتميا املته الظروف السياسية والاجتماعية . وشعاراته وطبيعة تكوينه واهدافه كانت سليمة من الوجهة السياسية والثورية . وبما ان مهمة هذا الحزب (او بكلمة اخرى الاهداف التي تبناها) لم تتحقق بعد ، فاننا لانجد اى مبرر للجماعات الوطنية التي انفصلت عنه او التي تكونت علي اثر الكارثة ان تتبني مناهج بعيدة كل البعد عن مناهجه الفكرية لبقاء الظروف الموضوعية كما هي . وروما حصل من الكوارث يجب ان تعزى الي اهدافه وشعاراته وانما يجب ان يعزى بالاحرى الي اسباب اخرى منها مصدره قيادته التي عبثت باهدافه ولم تسر بها سيرا صحيحا كما سنحاول ايضاحه بعد قليل .

في اول مؤتمر للحزب (١٦ آب ١٩٤٦) انتخب مصطفي البارزاني رئيسا وهو بعيد عن الوطن . وحاول الحزب الشيوعي العراقي الذي اعاد تنظيم نفسه ـ منذ البداية استغلال تفوقه النظري في بؤس كردستان ووضعها المتردي للتغلغل في جسم الحزب الديمقراطي الكردستاني تمهيدا لازدراده . لكن الحزب كان يملك منذ البداية كل مقومات المناهضة وذراع المقاومة القوى . فتأصل في جذور الحركة الوطنية وحافظ بذلك علي شخصيته المتمايزة باعضاء ومناصرين ومؤازرين جاؤا من اوسع رقعة للمجتمع الكردي . واحتضن وهصم الفلاح البهديناني الامي الفطري الي جانب التاجر والطبيب والمقاول والاستاذ ولم يشك من عسر هضم مطلقا. لقد حقق الحزب تآلفا وطنيا حقيقيا ووفق بين طموح الطبقة البرجوازية الكردية اليافعة وبين أماني الفلاح المعدم الذي يقف في آخر سلم التدرج الطبقي . هل كان ذلك محض مصادفة نادرة ؟

المادية الديالكتيكية لا تؤمن بالصدف ، وفلسفة التناقض عندها فلسفة حسابية جامدة لا تدخل في تصوراتها الاحتمالات . لقد تنبأ اعداء الشعب الكردي واصحاب النظريات السياسية هؤلاء ان مثل هذا التحالف والائتلاف موقوت وعمره قصير لن يكتب له البقاء حتي في اثناء عملية انجاز التحرر الوطني (وهي مرحلة عندهم) . الآن واقع استمراره وتأصل جذوره والنظر اليه بوصفه الاداة المحركة للثورة الوطنية التقدمية ضد الاقطاع والاستعمار اصبح واضحا عندما استطاع ان يخلق لنفسه خلايا وتنظيمات لدى القبائل المترحلة . في اعمق مجاهل كردستان وشعاب جبالها كنت ترى شعاراته تتلي وتحفظ وهو ما لم يستطع تحقيقه الحزب الشيوعي في اعلي مراحل نشاطه هناك وعندما لم يكن هناك من ينافسه .

مع هذا وجب علي الحزب ان يشق لنفسه طريقا صعبة خلال الحركة الوطنية العراقية لاثبات وجوده كقوة سياسية داخلية يعتد بها . كان الحزب الشيوعي العراقي السري الذي يتعرض لاشد انواع الملاحقة والتنكيل يتردد في منح الشرعية للحزب . وهذا الحزب الامي الذي لا يقر بالتعصب القومي ظل متذبذبا في الاعتراف بحق الشعب في تقرير مصيره وتأسيس الدولة الخاصة به وكان يروغ عن الجواب الصريح ويلف ويدور حتي ١٩٥٢ (عندما كان سكرتيره العام باسم ـ وهو كردي) وقد تراجع عن الاعتراف بعد ذلك وظل متردداً بين التصريح بهذا المبدأ (العقور ماركسيا) . لكل الشعوب وبين التريث والاحجام

والانكار رضوخا او تجاوبا مع رأى البرجوازية العربية وخوفا منها .

في نفس الوقت بقي يهاجم الحزب الديمقراطي الكردستاني زاعما انه اذا كان هذا الحزب ثوريا وتقدميا (يؤمن بالماركسية اللنينية) فعليه ان يندمج بالحزب الشيوعي العراقي ، وان لم يكن كذلك فعليه ان يترك شعاراته الاشتراكية ويعمل كحزب (اشتراكي وطني) وبغير ذلك ينظر اليه الحزب الشيوعي نظرته الي حزب مخرب يعمل علي شق صفوف الطبقة العاملة والفلاحية ويضر بالحركة الوطنية العراقية . ثم يعود بعدها لينكر علي الكرد حقهم في تأسيس حزب (ماركسي) خاص بهم في العراق مادام هناك حزب ماركسي هو الحزب الشيوعي العراقي . واقام الشيوعيون العراقيون الدنيا واقعدوها علي (ب . د . ك) لانه يصر علي اعتبار الشعب الكردى (امة Nation) في حين لاتنطبق عليه الشروط الواردة في تعريف الامة لـ (ستالين) .

أما بالنسبة الي الاحزاب الديمقراطية العراقية وفي مقدمتها الحزب الوطني الديمقراطي فقد كان موقفها من (ب . د . ك) موقفا غامضا حافلا بالشك في نواياه . وجميع الاحزاب العراقية التي اجيزت في ١٩٤٦ كانت تتطير من اى حزب او كتلة سياسية تحمل اسم القومية الكردية . وتبعا لذلك فانها ماكنت لتسلم بحق الشعب الكردى في العراق بتكوين حزب ذى اهداف قومية وتبرر ذلك بقولها ان هذا يعتبر انعزالا عن الحركة الوطنية وربما كان هدفه النهائي تمزيق الكيان السياسي والجغرافي العراقي . . اما الاحزاب والفئات القومية العربية الباقية فقد كانت من حيث المبدء تشكك في الغايات التي يعمل لها اى تكتل كردى سياسي بل وتنكر عليه اهدافه القومية . وكانت ترى مجرد العنوان الذى يحمله الحزب هو استفزاز خياني بحق الشعب العراقي العربي . لقد بلغ التعصب الشوفيني حدا ببعضها انها انكرت بالاصل وجود قومية كردية اصيلة وذهبت الي ان الامة الكردية هي عربية الاصل . ولذلك لم تكن مستعدة قط لسماع عبارة (حقوق الشعب الكردى) فكيف بعبارة (نضاله المشروع في سبيل حقوقه ؟)

مع هذا كله كانت قيادة الحزب واعضاؤه يتعرضون بصورة خاصة الي ملاحقة السلطة . هذه السلطة تعمدت اعتبار (البارتي) ليس فحسب جزء من الحركة الشيوعية في العراق وانما حزبا تآمريا وجد لهدم كيان الدولة العراقية . لذلك فان التهم التي كانت توجه الي اعضائه والمواد العقابية التي تطبق بحقهم في المحاكم العرفية هي عين التهم التي كانت تسند للشيوعيين

في هذه الظروف العسيرة عمل الحزب ونشط أمينا علي مبادئه باثا شعاراته بين جماهير الشعب الكردى بصبر واحتمال عظيمين ولم يقتنع بالعزلة التي فرضتها عليه اطراف الحركة الوطنية العراقية . فكان يواصل الحوار والمناقشة معها ويشارك عمليا في التظاهرات والانتفاضات والاجتماعات الجماهيرية الوطنية ويقدم الضحايا فيها اثباتا لكونه جزء لا يتجزء من الحركة الوطنية الديمقراطية في العراق وتأكيدا علي اهدافه التي لاتتضمن نوايا انفصالية . مع هذا ظلت الحساسية من البارتي لدى اطراف الحركة الوطنية حتي اثناء التهيؤ لثورة ١٤ تموز . الآن البارتي حيا الثورة وبادر الي وضع امكاناته تحت تصرفها حال اعلانها .

في الواقع ان ثورة ١٤ تموز كسرت الطوق المضروب علي الكفاح الكردى بتحطيمها الحلف الدولي ضد الشعب الكردى الذى كان يمثله حلف بغداد وحققت مطالب الحزب الانية مقابل دعمه للواء عبد الكريم قاسم الذى اخلي سبيل اعضائه المسجونين واوقف ملاحقتهم وسمح لجريدة الحزب بالصدور مع جرائد اخرى كردية وامر باعادة رئيس الحزب من المنفى مع رفاقه واهم من هذا كله وافق علي ان يتضمن دستور البلاد المؤقت مادة تقر مساواة الشعبين العربي والكردى في الحقوق ضمن الوطن الواحد. فكان هذا الاعتراف (القولي) بحد ذاته نصرا معنويا عظيما توج نضال هذا الحزب .

الآن الانعطاف بين (الرجل القوى) وبين الحزب كان قصير الامد فاعتراف بحقوق الشعب الكردى كان اعترافا اسميا فحسب وتم تعقبه خطوات سياسية عملية وفي نوبة من الخوف علي سلطته ونظامه وحرصه علي حكمه وخيرته بين نصيره الاكبر المتعاظم القوى (الحزب الشيوعي العراقي) وخصومه الاخرين من القوميين . بدء بكل ضربا ملاحقة للطرفين ولجميع الاحزاب ولجميع الاحزاب التي اجازها هو نفسه . وفي هذه الفترة بالذات وفي خلال التعبئة الجماهيرية العامة التي مارسها الحزب الشيوعي العراقي للسيطرة علي الشارع وللمشاركة الفعلية في الحكم وجه كجزء من هذه الخطة جانبا من جهده للسيطرة علي البارتي وقام فعلا بمحاولته المعروفة عن طريق اعضاء له مندسين في قيادة الحزب الآن المبادرة الشخصية التي تولاها رئيس الحزب في ١٩٥٩ اسفرت عن تطهير الحزب وانقاذه من الضياع . وبادر علي اثر ذلك الي وضع امكاناته بيد لجنة حزبية قامت بتهيئة وعقد المؤتمر الوطني الرابع الذى تم فيه طرد العملاء من هذه المحاولة .

وامام اصرار زعامة الحزب الوطني الديمقراطي علي وجوب بدء الحياة الديمقراطية في البلاد وانهاء فترة الانتقال الدكتاتورية الصعبة . الي جانب الضغط الشديد لاتمام الوحدة العربية مع مصر الذى كانت تعارضه الاحزاب القومية كحزب الاستقلال

وحزب البعث العربي الاشتراكي والناصريين عامة ،ويدفع وتعاون مع الناقمين ذلك الضغط الذي انفجر عن محاولة الاستيلاء علي الحكم بقيادة العقيد الشواف . وبمشروع اغتيال اللواء قاسم واصرار (البارتي) علي وضع مادة الدستور المعترفة بحق الشعب الكردي موضع التطبيق وزحف الحزب الشيوعي فعلا بوساطة لجانه ومنظماته علي جهاز الدولة وتغلغله فيها فعلا بكل هذا افقد الدكتاتور بقية من اتزان ودبر فيه فقرر القضاء علي كل زعامة سياسية قد تنافسه او يخشي من منافستها له في المستقبل فعمد الي اطفاء نشاط الاحزاب السياسية تدريجا بسلسلة من الاجراءات الصارمة وساق القوميين العرب الي محاكمات سريعة واعدم طائفة من زعمائهم واودع آلافا من اعضاء الحزب الشيوعي السجون ونظف الشارع منهم واضطرهم للعودة الي العمل السري ثم شق الحزب الوطني الديمقراطي نصفين واجبر زعيمه علي تجميد نشاط الحزب . وكان البارتي في آخر القائمة . عمد اولا الي احياء الثارات العشائرية في كردستان واحتضان شيوخ الاقطاع وتزويدهم بالمال والسلاح ودفع بهم الي تحرشات مسلحة ضد قواعد الحزب وضد منطقة بارزان العشيرة التي ينتمي اليها رئيس الحزب فوقع عدد من القتلي في الاشتباكات كانت قوات الامن الحكومية تقف منها موقف المتفرج واحيانا موقف المشجع للطرف المعتدي بايعاز مباشر من الدكتاتور . وطورد اعضاء الحزب واودع بعضهم السجن بتهم لاتقل عن السرقة والقتل والهجوم المسلح . وصدر امر القبض علي سكرتيره العام بتهمة ارتكابه جريمة القتل العمدي واضطر رئيسه الي ترك العاصمة خوفا علي حياته او وضعه رهينة .

لقد وضع حكم اللواء قاسم الحزب علي طريق اللاعودة حين اوعز الي قطعات من الجيش العراقي والشرطة بتحكيم مواقعها في كردستان وزاد من تسليح الروساء والشيوخ والاعداء التقليديين للعشائر البارزانية وحلفائها بشكل جعل الاحتكاك امرا واقعا . كانت المسألة بالنسبة للحزب ــ هل يحاول تسلم المبادأة ويوجه السخط والغليان القومي توجيها سياسيا ثوريا ام ينتظر قاسم ليشن حملة تأديب عسكرية للقضاء علي مكانة (البارتي) في كردستان ثم تصفيته .

رفض الحزب الشيوعي العراقي فكرة الدفاع المسلح عن الحقوق جملة وتفصيلا فرضا الاتحاد السوفييتي علي حكم (قاسم) لم يعتره تغيير رغم الحملة الضارية المستعرة ضد الحزب الشيوعي العراقي واقترح بدل المقاومة المسلحة حلا مؤداه القيام بحملة سلمية مشتركة واسعة النطاق تبني علي أسس الكفاح المشترك للعرب والكرد وشرعوا من جانبهم بهذه الحملة فطورد اصحابها وزج كثير منهم في السجون فباءت تلك (الحملة السلمية) بالفشل وساء الوضع بشكل خطير .

الباب الثاني

اندلاع الثورة ــ ملابساتها ــ دور الحزب فيها

انشقاق العام ١٩٦٤ ــ تأثيره علي الثورة ــ وضع الحزب بعد الانشقاق ــ الممارسات الخاطئة ــ عجز القيادة الجديدة ــ وضع الجيش الثوري الكردي حتي بيان آذار ١٩٧٠

في الواقع لم يكن الحزب مستعدا لاشعال ثورة ولا ادارتها لا من الناحية المادية ولا من الناحية التعبوية وان كان قادرا علي توجيهها من الناحية الفكرية كما اتضح . لقد فوجيء بالوضع الخطير مفاجأة تامة كان يرقب مئات من الجماعات المسلحة تجوب ارجاء كردستان بينها اعضاء من الحزب وموازريه باثقالها لاتدري اين تتوجه وشعر الحزب بان الجماهير الكردية تنتظر منه ان يفعل شيئا بل شعر انه سيفقد هيمنته الروحية وسلطانه الادبي الي الابد . فحاول بجملة من المذكرات المرفوعة الي اللواء قاسم ابعاد شبح الحرب عن كردستان والتخلص من الوضع العصيب الذي وضعه فيه الدكتاتور بتصرفاته الحمقاء حتي ان رئيس الحزب بادر وهو في بارزان بالتأكيد له علي اخلاصه للنظام وبانه لاينوي قط القيام باي عمل مسلح . كان (قاسم) قد اختط للقضاء علي المقاومة الكردية المتمثلة بالبارتي وشخص رئيسه (الذي اصبح يتمتع بشعبية طاغية بعد عودته من المنفي) ولذلك لم يلق اذنا صاغية وبادر الي ارسال قواته الي مواطن التجمعات المسلحة واطلق طائراته الحربية لتقوم بقصف عشوائي لمناطق عدة في كردستان .

تفرقت التجمعات الكردية المسلحة عند اول اصطدام لها مع الحملة العسكرية وتشتت في شعاب الجبال . كانت تجمعات عشائرية يقودها بدئيا زعماء رفعوا سلاحهم لاسباب شتي لاتعت الي اهداف قومية بصلة منها الرغبة في التخلص من تبعات قانون الاصلاح الزراعي المبتور الذي كان قد وضعه (قاسم) قبل ذلك باكثر من سنتين ونصف السنة . وقانون ضريبة الارض السخيف الذي وحد الشيوخ والاغوات مع الفلاحين في جبهة ضد (قاسم) وقد ظهرت للعيان اهداف ومرامي زعماء هذا التجمع من تفاهة وفرعية المطالب التي قدموها لممثل الحكومة المفاوض (محافظ لواء السليمانية) عند اجتماعه بهم في

(الصحة دزه وانه) وهي مطالب لم يكن يربطها بمبادئ الحزب واهدافه اي رابط . حتى ان ممثل الحزب في ذلك التجمع العشائري لم يسمح له بحضور تلك الاجتماعات بحجة عدم تعلق المسألة بالحزب . هذا فضلا عن ان اعضاء الحزب داخل التجمع المسلح كانوا قليلين الى حد يمكن معه اهمالهم فضلا عن كون معظمهم عزلا ، الامر الذي حط من قدرهم في نظر زعماء العشائر المتغطرسين فكانوا يطلقون عليهم استهزاء (مه تاره به مل = حصلة الزمزميات) اذ كان هذا سلاحهم الوحيد . فكيف استطاع الحزب السيطرة على الانتفاضة العشوائية وتحويلها الى ثورة وطنية بقيادته ؟

كان امام الحزب هدفان ، اولاهما فصل الجماهير الفلاحية المسلحة عن ولائها التقليدي القبلي وثانيهما توجيه هذه القوى توجيها صحيحا وفق اهدافه. لقد ساعد (قاسم) الحزب في انجاز هذين الهدفين العظيمين بهجومه المسلح الكاسح والقاسي على شتى على التجمعات الكردية .

ليس من اغراض هذه الرسالة التطرق الى تفاصيل المراحل التي مرت بها الثورة وتقويم صفحاتها العسكرية والسياسية الا بالقدر الذي يكفي لبيان نقاط الضعف التي تراكمت وتضخمت بمرور سنوات الكفاح المسلح لتؤدي بالاخير الى فشلها في تحقيق اهدافها .

يسلم اصدقاء الثورة وخصومها وبينهم العراقيون والمتتبعون بحقيقة واحدة على الاقل وهي ان الحزب ومن ورائه الجماهير الكردية انما دفعوا دفعا الى الصدام المسلح مع الحكومة العراقية في العام ١٩٦١ وان قوة الدفع هذه اي مبررات استمرار القتال التي كانت تتخلله فترات من الهدن والاتفاقات الموقتة كانت قوية وكافية ان الحزب وجماهير الشعب الكردي اضطرت الى مواجهة هجوم مسلح ولم تختطه فمن انهما لم يكونا مستعدين لها استعدادا ماديا على الاقل فهناك من يرى ان الاستعداد الروحي كان ينقصهما ايضا . وللواقع نقول ان المجهود الحربي الحزبي تعرض منذ اولى دقائق المعركة الى نقد مرير ليس من جانب الجماهير الكردية المناضلة وحدها بل من اعضاء الحزب نفسه وان نحن تركنا عامل المفاجأة بوصفه عذرا مقبولا فقد تفرقت قوى الحزب المولفة من الاعضاء والموازرين وبعض افراد العشائر الذين حملوا السلاح بدافع غير دافع الولاء القبلي عند اول اصطدام حقيقي مع القوات النظامية الا انها لم تقهر لكن (قاسم) توهم بان الانتفاضة اصبحت في خبر كان واسرع الى اعتبار الحركات العسكرية منتهية معلنا ذلك في موتمره الصحفي (اواخر ايلول ١٩٦١) .

كانت العشائر التي تحالفت مع قوات الحزب بقيادة البارزاني الى جانب حيازتها على كميات من العتاد والسلاح تتمتع بميزتين بارزتين اولاهما معرفتها الجيدة بمنطقة الحركات العسكرية وثانيتهما ولاؤها المتوارث للشيوخ والزعماء لاسيما عندما ينشأ هذا النوع من الولاء عن علاقة روحية دينية بالشيخ .كعشائر بارزان الآن مثل هذا الولاء عند العشائر الاخرى بصورة عامة وفيما خلا استثناءات قليلة اخرى ،كان مهترئا او لاوجود له بسبب الصراعات على النفوذ والزعامة بين رووساء العشيرة الواحدة ولان بعضهم كان يحارب في مناطق اخرى بعيدة عن مواطن نفوذهم وليس ادل على هذا الراى من ان (عباس آغا مامند) أقوى رووساء العشائر في منطقة السليمانية (آكو) استنجد بقيادة الحزب في اواخر ١٩٦١ طالبا عدم سحب الاعضاء الحزبيين الذين كانو يعملون لديه وهم ميلحون ـ لاجل حمايته بسبب عدم اطمئنانه الى ولاء عشيرته وخاصة في حالة رفضه العفو الذي عرضه (قاسم) عليهم لقاء القائهم السلاح بدون قيد او شرط . وقبلت لجنة الحزب المركزية طلبه وزودته بآخرين . ولم يكن حظ غيره من زعماء العشائر باسعد من حظه في هذا الصدد .

عند هذه الفترة من الثورة التي توهم فيها (قاسم) بان الامر انتهى وان بقية الفلول المشردة في الجبال لن تحتاج الى مجهود سوى آخر لتصفيتها واستئصالها بل ستنحل من تلقاء نفسها ، قام الحزب وحلفاؤه من العشائر وبالتعاون التام الرائع مع (مصطفى البارزاني) بمجهودات خارقة محمودة في جمع الشتات وتشكيل القوات الثورية الضاربة وما مرت سنة وبعض سنة حتى وجد (قاسم) نفسه في النقطة التي بدء منها في ايلول ١٩٦١ وعاد يسوق قطعاته مجددا الى عدة مواقع تساقط .

في هذه المرحلة كان يترتب على الحزب ان يقوم بوضع مخططه السياسي الداخلي والخارجي . كان هو والثورة التي يقودها تفتقدان تماما سياسيا فريدا من نوعه فالاسلحة التي كان يستخدمها الجيش العراقي هذه المرة لم تكن اسلحة غربية (امبريالية) وانما هي اسلحة سوفييتية ذات طراز حديث زود بها اللواء قاسم من الاتحاد السوفياتي بموجب معاهدة صداقة باشعار وتزويده زهيدة للغاية . ان موقف هذا الحليف والمحامي الجديد للكيان العراقي كان يعد بوجهة الثورة باب العطف عليها ليس من جانب الاتحاد السوفياتي وحده بل من جانب سائر الدول الاشتراكية الاخرى . لقد رفع الحزب شعار " الديمقراطية للعراق والحكم الذاتي لكردستان " على اساس منطقي سائب وباعتبار الشقين غير قابلين للفصل او التجزئة دلك ان الحكم الذاتي يعني فوق تحقيقه الآتيين حكم ديمقراطي صحيح للبلاد (ان التجارب في هذا الصدد كثيرة جدا بحيث يكون من قبيل الفضول ايراد الامثلة) غير ان قيادة الحزب كما سنرى فيما بعد كانت دائما تتذكر لهذا الشعار عند المفاوضات مع الحكم و ترتعد

بحشه فكأنه لم يوقع من اجل السعي اليه وانما لاجل الدعاية واجتذاب اهتمام وعطف جماهير الشعب العراقي على القضية الكردية . وجريدة (خه بات) التي كانت تصدرها قيادة الحزب بقيت مصممة في التنديد بالامبريالية والاستعمار وحلف السنتو وظلت ساكتة عن ارسال الاتحاد السوفياتي تلك الاسلحة الى (اللواء قاسم) وهذا يفسر جانبا من الحيرة التي انتابت تلك القيادة تلك الحيرة التي بلغت حدا انها لم تقم مطلقا وفي المرحلة الاولى من القتال بأي احتجاج على الصعيد العالمي حول ارسال صفقات الاسلحة والعتاد تلك . لم تكن قد فقدت املها بعد في ان العالم الاشتراكي (الاتحاد السوفييتي) قد يغير من موقفه ازاء الثورة الكردية ويوقف تدفق الاسلحة وبذلك يرغم قاسم على انهاء حالة القتال بشكل ما ولهذا السبب لم تتحرك قيادة الحزب نحو اية جهة خارجية لطلب العون والاستفادة من التناقضات السياسية الدولية كما لو كانت تعد الساعات بل الدقائق متوقعة تغييرا جوهريا في موقف العالم الاشتراكي من ثورتنا التحررية الامر الذي كشف عن جهل غير مقبول بسياسة زعيم العالم الاشتراكي الخارجية وطبيعة علاقاته مع مختلف الدول وكيف تبني تلك العلاقات وعلى اي أسس . من الاكيد انها كانت تدري الى حد ما ان تلك العلاقات لم تكن مستوحاة تماما من المبادئ الاشتراكية التي قرأوها في الكتب . لقد كسر رئيس الحزب هذا الحاجز واخترق حاجز الصوت فيما بعد معتمدا على قواه الروحية وبدركا تمام الادراك منزلته في قلوب الكرد وكل ذلك كان يؤمن له قوة الحركة .

كان للعالم الغربي (الذي ربما تدفعه مصالحه وسياسة الاستيلاء على مناطق النفوذ) عذره الخاص في الحذر من قيادة الحزب (لجنته المركزية ومكتبه السياسي) بسبب شعاراته اليسارية التي لم يجد حاجة الى اعادة النظر فيها . وعندما ادركت بان انتظارها للمعجزة اعني لتحول يطرأ على موقف الاتحاد السوفياتي قد يطول دونما نتيجة كان الشق قد اتسع بين القيادة هذه وبين رئيس الحزب . كانت تعتقد انها صاحبة الحق الاول والاخير في رسم سياسة الثورة والكلام باسم الشعب الكردي وثورته وان رئيس الحزب يمثل شخصا واحدا من اشخاص تلك القيادة فطالبوا باخضاع القيادات العسكرية لهم والاشراف على الاعمال العسكرية غافلين عن ان الاسباب التي دعت الى انتخابه رئيسا للحزب قبل خمس عشرة سنة مازالت قائمة وان اي تقرب من العالم الخارجي هو الذي يستطيع تحقيقه ولا سيما العالم الغربي الذي اعتدت عليه الثورة فيما بعد . ان هذا الخلاف المشؤوم الذي كان واحدا من العوامل الجوهرية لفشل الثورة انتهى الى انشقاق تام فاصبح للثورة قيادتان وجبهتا قتال واحدة بقيادة رئيس الحزب ولفيف من اعضائه وافراد من لجنته المركزية والثانية بقيادة سكرتير الحزب العام وبقية اعضاء اللجنة المركزية والحزب . وخضع التعاون بين الجانبين الى الامزجة دون مراعاة للضرورات الوطنية والعسكرية ودون ان يؤخذ في الحساب مستقبل ثورة الشعب الكردي ومصائر ابنائه الذين كانوا يريقون دماءهم في الجبهة دون تردد .

كان واقعا مؤلما غير طبيعي حاول كل من الجانبين اصلاحه او تكييفه حسب مفهومه الخاص . لقد اثبت الحزب وجوده وفعاليته فيما مضى بنجاحه في خلق خلايا له حتى لدى القبائل الضاربة وافصح عن بعد نظر عندما اختار (البارزاني) زعيما ورئيسا للحزب وهو مشرد بعيد عن بلاده (ربما كان اول زعيم سياسي في التاريخ ينتخب بهذا الشكل) فما الذي حصل لترتفع ثقة قيادة الحزب عنه ؟

كان السبب شخصيا أكثر من كونه عاما . هناك قيادة مدنية تتألف من اعضاء وصل بعضهم الى درجة جامعية وتعرض في النضال السياسي وذاق مرارة العمل السري والمطاردة والسجن . انهم يجدون انفسهم الان وبعد ان حولوا انتفاضة غوغائية مسلحة الى ثورة مبدئية كاملة الابعاد احق من القائد الذي سلحوا بزعامته فيما مضى بالقيادة ، فيتملكهم الاصرار على ان يخضع مادعوه (بالقيادة العشائرية) الى قيادتهم لان هذا هو الاسلم والاقرب الى روحية العصر ولان معظم ثورات الشعب الكردي السابقة لاقت حتفها لان ادراتها كانت بيد زعماء عشائريين غير متشربين بروح وطنية خالصة . كان مصدر الخطأ في هذا التصور ذا وجهين :

فقد خيل لقيادة الحزب المدنية وقت احتدام المعارك انها استطاعت فعلا تحويل الولاء القبلي تماما الى الولاء الحزبي للحزب وراحت تخلع هذا الموقف وضاعفت المفاهيم المختلفة للنضال من حيث الشكل والموضوع مما ادى بها الى ضرورة التخطيط فعلا لازاحة ما اسمته " بالزعامة العشائرية التقليدية " . الوجه الثاني انها استخفت واخطأت في تقدير منزلة ورئيس الحزب في نفوس الشعب الكردي والمثل الذي يتمتع به في المجال الدولي . لم تقر القيادة المدنية الاتصالات الخارجية التي كان يباشرها رئيس الحزب بحثا عن الدعم والمساعدة . وقد بعض هذه الصلات مناقضة للخط الوطني الثوري وراحت تستقل بصلاتها السياسية على النطاقين الخارجي والعراقي وتتقدم بمذكرات ومطالب تماما كما يفعل رئيس الحزب فكانت تتعارض ايذا وتتفق احيانا وحصلت تحرشات وتعرضات مسلحة بين الجانبين وسفكت دماء كردية بأيد كردية واصبح لكل منهما سجنه الخاص يلقي فيه اتباع الجانب الاخر وقد القبض عليهم واصبحت عبارة " العدو المشترك " تتردد على افواه الطرفين

مشيرة إلى النظام العراقي الذى كانا يقاتلانه وكأنهما فريقان يعملان لغرضين مختلفين . كما حصل في آب ١٩٦٢ عندما شرع بعض الضباط العراقيين بالاتفاق مع حزب البعث والقوميين يخططون للاطاحة بحكم (اللواء قاسم) فبدأت اتصالات لهم بقيادة الثورة في شباط ١٩٦٢ وظلت مستمرة زهاء السنة الواحدة حتى تم الانقلاب . ولكن لم يكن بيد مفاوضي الثورة الكردية ورقة واحدة يلعبونها مع الحكام الجدد المنتصرين لم يكن لديهم اكثر من وعود غامضة وصيغ عمومية مثقلة بكثير من عبارات الود والمجاملة واعترف البارزاني نفسه بهذا العجز السياسي لاحد المراسلين الاجانب " لقد اعطانا البعث وعدا بالاعتراف بالحكم الذاتي الا انه لم يكن وعدا كتابيا . لم يسطر على الورق ولم يوقع . . . .

ولم يكن حظ قيادة الحزب الجديدة التي جاء بها البارزاني باحسن حالا مع الحكم الجديد الذى تلا حكم البعث . لقد اوقفت القيادتان القتال مع الحكام الجدد وظهرتا متحدتين لمدة قصيرة حتى ان ممثليهما نزلوا للمفاوضة في بغداد باسم (ممثلي البارزاني) .

في الوقت الذى كان النظام الجديد يستعد لحرب شاملة بعد نشر الثورة وثيقتها المعروفة حول الحكم الذاتي شعر رئيس الحزب بثقل مسؤولية استئناف القتال وبحاجته الى مؤتمر موسع اوسع من شخصه واوسع من الحزب نفسه لتقرير الخطوة المقبلة . فاجتمع في ١٨ آذار بكويسنجق مايشبه جمعية عمومية وطنية مؤلف من حوالي الفين وداما اجتماعاته خمسة أيام تم على أثرها اختيار ممثلين للدخول في مناظرة مع حكومة بغداد . ان هذا الوفد — وهنا وجه الغرابة — انساق بسذاجة غريبة باقوال الحكام الجدد الذين استطاعوا اقناع الوفد بسهولة بان مفتاح حل القضية ليس في العراق ولا بيدهم وانما هو في مصر وبيد الرئيس عبد الناصر . وبدون مناقشة هذا الزعم وخلافا لراى البارزاني شد رئيس الوفد الرحال الى مصر ليعود اد راجعه بعد قليل وقد وجد نفسه ضحية خدعة . لقد دفع الحكم الجديد القضية الكردية الى حلقة مفرغة حينا من الزمن ليتم استعداده الحربي . ولهذا القى القبض على اعضاء الوفد في كركوك واعيدوا الى بغداد موثقي الكتاف واستونف القتال في حزيران .

في ذلك الوقت وقليل قبله كان الشيوعيون يتعرضون الى افظع عملية تصفية شهدها تاريخ الحركة الشيوعية في الشرق الادنى . اذاع النظام الجديد بيانا رسميا بقانون الى الشعب العراقي يبيح فيه دم الشيوعيين ويعتبر قتلهم واجبا وطنيا وينصب من كل مواطن عراقي محكمة وجلادا في نفس الوقت اتماما لعملية التصفية هذه . فهرب عدة آلاف ولجأوا الى مناطق الثورة خوفا على حياتهم . لقد اقترن هذا التنكيل بالشيوعيين بتوتر العلاقات بين نظام الحكم الجديد وبين الاتحاد السوفياتي . ومع ان قيادة الحزب العدنية ماكانت تميل الى ايواء هذه العناصر والافادة منها الا ان البارزاني لم يدع الفرصة تفوته وهو يتطلع الى الخارج للدعم والمساندة وقبل وجودهم بل سلحهم ودفع بهم الى احد الجبهات واعطى بعضهم مراكز سياسية وعسكرية حساسة وبذلك اوجد اول انعطاف حقيقي على القضية الكردية من جانب الاتحاد السوفييتي الذى شرع يفكر جديا الدعم المادى والمعنوى لها فعرض ان يبث بجهاز اذاعة وبدأت محطة راديو في برلين الشرقية تذيع بلاغات الثورة العسكرية وتعليقات طيبة عنها . ولما كان الاتحاد السوفييتي يفقد اماه من تأسيس علاقات طيبة مع الحكم الجديد اوعز الى جمهورية منغوليا الشعبية بعرض القضية الكردية على الهيئة العامة للامم المتحدة وقام هو نفسه بعرضها ايضا امام المجلس الاقتصادى والاجتماعي التابع للهيئة الا انه سرعان ماسحبت الشكوى لاسباب سياسية صرفة تتعلق بقضية الشرق الاوسط ونفوذ كان يتمتع به الرئيس عبد الناصر لدى الاتحاد السوفييتي دون الاخذ بنظر الاعتبار الدوافع الانسانية والعدالة التي تكتنف هذه الشكوى .

ولم يطرأ تحسن على الموقف بين القيادتين بل كان الشق يتسع باختلاف وجهات النظر وفي الرابع من نيسان ١٩٦٤ دعا سكرتير الحزب الى عقد مؤتمر للحزب في (ماوت) وامام سبعين مندوبا يمثلون فروع الحزب هاجم السكرتير العام رئيس الحزب وطلب من المندوبين تحديد موقفهم منه . الا ان اغلبية حاولت انقاذ الموقف فاقترحت توقيف اعمال المؤتمر مؤقتا وارسال وفد منه الى رئيس الحزب لتصفية الجو وجمع الشمل . ولما عاد الوفد وجد المؤتمر قد ختم اعماله وتمت التطهيرات . كان الوضع من الحراجة بمكان . فالهدنة بين حكومة عبد السلام عارف وبين قيادة الثورة مهددة في كل لحظة وحكومة بغداد شأنها في ذلك شأن كل الحكومات التي سبقتها تعمد الى التسويف والمماطلة في مناظرات كلامية عقيمة . وازاء هذين الموقفين اتخذ رئيس الحزب قرار نصب قيادة جديدة بدل القيادة القديمة المشتتة واعادة تنظيم الحزب بطرد العناصر المتآمرة . انها خديعة قاصمة اصابت الحزب في عمودة الفقرى لقد فقد كادره الحزبي الاصيل ذا الامجاد اما بوسم اعضائه بوسم الخيانة والتنكر للواجب الوطني واما بارغامهم على ترك العمل الحزبي والابتعاد عن النشاط الثوري بالانزواء في المدن والقرى او مغادرة ارض كردستان . لقد تركت القيادة المتعرسة القديمة الميدان لقيادة فحيحة جمعت اعضاءها من القيادة التي القي على عاتقها فيما بعد أثقل المهمات السياسية والعسكرية واخطرها فنالت بها وهزمت بجدتها . هذه القيادة

جاءت غير متجانسة غير متفهمة قليلة الخبرة فقيرة التجارب في العمل السياسي وان كانت تتضمن افرادا من الكادر الاعلي القديم فما بقي مواليا للبارزاني كان اضعفه . وتبعا لذلك انحطت سمعة الحزب وادرك الانحلال الكوادر الواعيـــة والمثقفة او اختفت او تقاعدت . لم يظهر اثر هذا الضعف بشكل واسع طوال السنوات التالية ولم يعلم بحقيقة امره الا القريبون لان الاعمال العسكرية الناجحة التي حققتها الثورة في اعقاب العدنة الثانية وتعاظم هيبة الثورة وانتباه العالـــم الخارجي اليها وتسابق الكتاب والمعلقين والصحفيين الي الكتابة عنها غطى القصور الذاتي لقيادة الحزب الجديدة .

ومع ان رئيس الحزب قبض علي زمام الامور بيد حازمة واحيانا باطشـــة مستفيدا ومستغلا أبعد استغلال شخصيته وسمعته الطاغية ومكانته عند الامـــة الكردية الا ان الرجة كانت عنيفـــة ادت الي ردود فعل خطيرة عند الشعب الكردي في العراق فتوقفت طلبات الانضمام الي الحزب سواء من الجماهير او من البيشمركة واعترى الخور الكوادر الحزبية الباقية وترك للاعضـــاء الحبل علي الغارب وفقد الانضباط الحزبي واهملت الاجتماعات الحزبية الدورية ولم يعد يرى في نشرات الحزب وادبياتـــه تلك الروح الحماسية والتعليمية وآل الوضع الي تسيب في المسووليات الحزبية وتضاءلت المحاسبة وتعاظمت الاعمال الورقيـــة والكتبيـــة . وكثيرا ما كانت الاوامر الحزبية تصدر لتبقى حبرا علي ورق لاتجد من يخشي عدم تنفيذها . لقد بقي هذا الداء ينخر في جسم الحزب كداء البرص حتي نهاية الثورة .

لم تكن القيادة الجديدة في جميع المراحل التي مرت بها ومهما اعترى اشخاصها من تبديل ـ لم تكن تملك عنصر الانسجام لانها لم تكن حصيلة انتخاب ديمقراطي وانما نصبت نصبا بناء علي ضرورة اضطر اليها شخص واحـــد هو رئيس الحزب . فمثلا استقدم سكرتير الحزب العام الجديد من بغداد ليجـــد نفسه فجأة وهو عضو في اللجنـــة المركزية وسكرتيرا للمكتب السياســـي بعد ساعات معدودة من انتخابه ومن دون سابق وجود له في منطقة القتال . وانصرف اعضاء القيادة بالتدريج الي الشؤون الكتبيـــة والادارية والتقنيـــة المناطة بهم اما بحكم عضويتهم في مجلس قيادة الثورة او بابتعادهم عن المقر بمهام حزبيـــة ادارية ونادر ان اجتمعت اللجنة المركزية كاملة . واما اجتماعات المكتب السياسي الدورية فانها لم تكن لتسفر عن قرارت مجدية حزبية ولا يبحث فيها بتفصيل وجدية نشاط الحزب ولجانه واذا ما بحثت فبشكل مجرد عن الحماسة والعزم . ان ضعف هذه القيادة وسطحيتها وعدم تجانسها وفقدانها الحماسة الثورية تجلى في استمرارية هروب العشرات من اعضائها والارتماء فـــي احضان العدو فيما بين ١٩٦٤ و١٩٧٤ واللجوء الي عطية الترقيع وتكملة العدد بوسائل بعيدة عن الديمقراطية ومخالفـــة لنظام الحزب . ولذلك راح الحزب بعد نكســـة ١٩٦٤ يفقد رصيده ومكانته وبصورة خاصـــة لدى قوات الجيش الثوري الكردستاني . لم يكن رئيس الحزب وقائد الثورة يشجع كثيرا اي تغلغل للحزب بين المقاتلين حوفـــا من تكرار ما سبق حصوله بينـــه وبين القيادة المدنيـــة السابقة ولم يبذل الحزب من جانبـــه اي مجهود للتغلغل وانسحب كوادر الحزب الي الخلف تاركة جبهـــات القتال بينما كان المفروض علي لجان الحزب المختلفة ان تشارك في المعارك وتتقدم صفوف البيشمركة لتضرب من نفسها مثلا في التضحية ونكران الذات نجدها تنسحب تدريجا الي مقرات خلفيـــة واصبح همها حال اللجان الفوتيـــة تكتفي باصدار اوامر لاينفذ معظمها وتكتب التقارير الدورية الروتينيـــة الي المركز وتنقل انباء المعارك بشكل مبالغ فيـــه مجســـمة ادوار اعضاء الحزب . كل هذا دعا الي استظهار عناصر انتهازية طارئة علي الثورة وتسلمها قيادات عسكرية ليسوا اهلا لها .

ألف اعضاء اللجان (الناوجات) الراحة واستمرأوها خلف خطوط القتال وجبهاته وتعددت طلباتهم المعاشية ولم يعودوا يقتنعون بمقاسمة المقاتل خبزه اليابس وشايه وراح بعضهم يفرض (كالجنود المرتزقة المحتلة) اتاوة العيش علي القـــرى مثلما كان يفعل مرتزقة الجاش الحكوميين بالقرى التي يحتلونها حتي نما نوع من القرف منهم في نفوس الجماهير الكـــردية طاردا كل شعور بالاحترام الذي كانوا يكنونه لهم في الماضي . وكان هذا القرف في بعض المناطق يتحول الي حقد دفيـــن عندما يقترن التصرف المتعالي باجراءات تعسفية .

استقطب هذا النفور وانعكس علي معنويات البيشمركة وكلهم فلاحون وقرويون (حتي افراد الشرطة الذين التحقوا بالثورة) تأيد بعد استئناف المرحلة الاخيرة من القتـــال حالة الانهيار المعنوي واللامبالاة الي حد عصيان الاوامر والتمرد واغفال القتال والهجوم بل الانسحاب دون قتال نكاية وحقدا وضنا بالروح . . الي غير ذلك من الظواهر المؤسفة التي عطلت علي تصفيـــة الثورة وهي في اوجها كما سيجيء شرحه .

اختفي اعضاء الحزب وكوادره في خلفيـــة الصرح عملا ولكنهم بقوا يتصدرونه بالشعارات . واحدثت انصرافهم بحياة المدينة في اثناء فترات الهدن الطويلة آثارها العميقـــة لافي اتجاهاتهم السياسية وحدها بل في حماستهم الوطنية وتوثب تصميم أنصبت صداقات ماكان يجب انفاقها مع العدو اذ بلغ بعضها حد العمالة والتطوع في نقل انباء تحركات الجبهة الثورية بمـــا في ذلك صلاتها الخارجيـــة وتفاصيل عن مواقع تنظيماتها العسكرية . وتاه الحنين الي حياة المدن يستبد في الصدور بعد مجاهل كردستان وكهوفها وهدوئها وتلوجها ووحوشها الناوس . ولم يكن بعضهم مستعدا لها اوزاد ها في حمايته نضمالا شاقا غير مضمون بأجيل . وراحت مناهر كثيرة في القيادة تباهـــر بضجرها وتأففها من دوام القتال ويتفكهون فيما بينهم

اصرار قائد الثورة علي الخفي في القتال الذى يبعد عنهم آمالهم في حياة الراحة والنفوذ والمناصب التي ستكون بانتظارهم كلما تجددت الصاعي السلمية او يوشر بمفاوضات مع النظام العراقي .

بلغت المكابرة والاستهانة بالقضية الوطنية الحد الذى ماعادت تعتبر تضحيات الجماهير الكردية المعدمة بدمها وبالتالي الذى تملك شيئا اذا ماقيس بتضحياتهم وكثيرا ما سمع كاتب هذه السطور هذا المنطق الغريب يردده عدد من القياديين " ليس للبشمركة مايفقده فهو معدم اصلا ويحارب في ارضه وقد ألف تقليديا حياة العنف . وهو الآن يقبض راتبا ويملك سلاحا جيدا وعتادا وكساء وطعاما منتظما فهو الرابح اذا ماقورن بنا نحن الذين فقدنا كل شيء وعدنا الي حياة الفطرة "

وبين وحدات البشمركة نفسها ظهرت امتيازات متأتية عن اسباب القرابة والعنصنات القبلية . فبينما كانت قطعات معينة من الجيش الثورى الكردستاني تتحمل اعباء قتال مستمر كما نجد قطعات اخرى في جبهات بعيدة عن القتال الفعلي وهديات القصف الجوى وفي المؤخرة تنعم بالراحة وبالطعام الجيد لتثير عوامل الحسد والحقد في انفس اخوانهم الآخرين الذين يرابطون في الجبهة المعرضة باستمرار للعدو . وفي هذه المؤخرة كان بعض القياديين الحزبيين من امراء الهيزات منصرفين الي حياة الراحة مع رجالهم وقد احاطوا انفسهم بعدد من الطفيليين يسمحون لانفسهم بحرية الامر والزجر ويستخدمون افراد الجيش الثورى الكردستاني خدما في بيوتهم . ويدججون انفسهم باحسن السلاح ليسيروا به مختالين كالطواويس يحف بكل منهم ثلاثة او اربعة من الاتباع . ويعلقون علي صدورهم ويحيطون خواصرهم بكميات كبيرة من العتاد كان مقاتلو كردستان آنذاك في امس الحاجة اليها ـ تكملة للزي " !

كانت بوادر التفكك والانحلال الخلقي وعدم الاكتراث بالمستقبل واضحة للعيان عندما استؤنف القتال في ايلول ١٩٦٨ . لقد رحب نظام الحكم الجديد الذى قام في اعقاب حكم عبد الرحمن عارف باستئناف القتال في بادئ الامر وقد دفعه الي هذه الفكرة شعوره بالانتصار ونجاح انقلابه لقد تصور هذا الحكم انه قادر علي تصفية الثورة عسكريا بعد ان اطاح بشركائه العسكريين وقام باعمال (تصحيحية) معينة في الداخل هدفها التقرب الي الشعب العراقي ومحو آثار فترة حكمه في ١٩٦٣ ولانه كان يريد ابعاد الجيش حينا من الزمن عن التدخل في الشؤون السياسية ليأمن مؤامرات ضباطه عليه ولتتاح له فرصة تطهيره من العناصر المناوئة له .

عندما استؤنف القتال في العام ١٩٦٨ كان الحزب قد خسر جولة ثالثة من المفاوضات (حزيران ١٩٦٦) . قبلت وزارة عبد الرحمن البزاز بالمفاوضات بعد الهزيمة النكراء التي مني بها الجيش العراقي في (هندرين) تلك الوقعة التي كانت حكومة البزاز قد عدتها هزيمة لرأى العسكريين في الحكم ولاستراتيجيتهم لحل القضية الكردية . وبدلا من انتهاز الفرصة خرج رأى عجيب من القيادة يشدد علي وجوب التساهل مع رئيس الحكومة وترجيح جانبه علي العسكريين بعدم التشدد في المطالب الكردية اثناء المفاوضات . فاتاحوا الفرصة لرئيس الحكومة لاملاء شروط لم تحرك القضية الكردية الي الامام خطوة واحدة بل دفعتها الي الوراء في متاهات . لقد افلح اولا في اقناع القيادة بانها ليست الطرف الاوحد في القضية الكردية وانما هناك الطرف الاخر (القيادة المدنية السابقة للحزب الديمقراطي الكردستاني) . امتنع رئيس الحزب البارزاني عن الدخول في هذه المفاوضات وكان موقفا طبيعيا ينسجم مفاهيم الحزب الذى يرأسه . ولم تقف القيادة موقفا مشرفا ولم تشجع البارزاني علي اصراره وانما انضمت الي الوسطاء في الالحاح عليه بقبول ذلك . ولم يجتمع البزاز) بالطرفين معا مستغلا استحالة ذلك . فخلق لدى الطرفين حالة فكرية معينة ناشئة عن جهل الطرف الواحد بما كان الطرف الآخر مستعدا للقبول به من مطالب سياسية . فتسابق الجانبان الي التساهل وحل اللين محل التصلب وسجلت المفاوضات نجاحا ساحقا للمغلوب وخذلانا مبينا للغالب يتضح ذلك من بيان ٢٩ حزيران ١٩٦٦ الهزيل الذى صاغه (البزاز) بنفسه وباسلوبه القانوني المطاط والقاه من الراديو ليتنصل من تبعاته بعد أشهر قلائل من استئنافه القسرية مصرحا بان البيان لم يكن غير (خطة عمل = منهاج) التزمت بها حكومته وحدها واى حكومة تالية مخيرة بين تطبيقه او اهماله .

كان (البزاز) مستعدا ومتهيئا لقبول مطالب جوهرية كثيرة تتعلق بمصير وحقوق الشعب الكردى . ان لعبته السياسية الصغيرة التي نفذت نتائج نصر الثورة العسكرى لم تكن حاذقة بقدر ماكانت سذاجة وديوعة وفد الحزب والثورة المفاوض كبيرة

قبل ان يلقي رئيس الحكومة بيان التاسع والعشرين من حزيران ١٩٦٦ ، أدلي بتصريح المنتصر الغالب الذى يرى من جانبه املاء الشروط اذ قال " ان الحكومة من حيث الاساس مستعدة للاعتراف بحقوق الكرد القومية . الا انها تطالبهم بتسليم اسلحتهم . وليكن معلوما بانهم سيفيدون جميعا من العفو العام " . فلم يعترض احد علي هذا التصريح الذى جعل من الثورة حركة عصيان ومن قادتها ومجاهديها قطاع طرق وعصاة ومن شهدائها مجرمين . ولم يسأل صاحب البيان عما كان يقصده (بالاستعداد للاعتراف بحقوق الكرد القومية) ولم يناقش في مسألة تحديده لتلك الحقوق .

ان القوة التي كانت قيادة الحزب والثورة تعزوها لحكومة (البزاز) وتتخذ منها حجة للتساهل معه علي حقوق الشعب الكردى كانت مجرد وهم وسراب خادع بدليل ان مؤامرة عسكرية كبيرة هبت اعاصيرها فجأة عندما كان الوفد الكردى المفاوض في بغداد ينتظر ظهوره مع (رئيس الحكومة) علي شاشة التلفزة لاذاعة البيان . ولانذكر ارغام البزاز نفسه علي الاستقالة بعد ذلك بفترة قصيرة .

يعتذر بعض القياديين الذين ادركوا فيما بعد خطل مافعلوا بان ايران هي التي ضغطت علي قيادة الثورة والحزب لقبول الاتفاق المشين مع (البزاز) فرضخت . ان هؤلاء القياديين انفسهم قالوا فيما بعد بان ايران هي التي ضغطت ايضا علي تلك القيادة لعدم القبول باتفاق ١١ آذار . اذا صح هذا فان رغبة ايران الاولي كانت متفقة مع رغبة الاتحاد السوفياتي الذى تدخل فعلا لصالح حكومة البزاز وكان عاملا جوهريا لتقريب وجهات النظر كما يعرف المطلعون . وان الثورة كانت تملك زمام أمرها في الحالتين بدليل عدم التفاتها الي الضغط الايراني الاخير واقدامها علي الاتفاق مع الحكم العراقي في ١١ آذار .

من جملة التهم التي وجهها القوميون العرب والعسكريون العراقيون وصافسو (البزاز) علي الحكم لارغامه علي الاستقالة فضلا عن " تقربه من الدول العربية ذات النهج الرجعي واتباعه سياسة اقتصادية ليبرالية تؤدي الي الاخذ بيد الرأسمالية المحلية وتشجيعها " ، انه " عقد اتفاقا غير مشرف مع الكرد " حتي انه لجأ الي التصريح بعد اقالته " ان بيان حزيران حول حقوق الاكراد لايربط قانونا الا الحكومة التي أصدرته " .

بعد هذا الخذلان السياسي الذى منيت به قيادة الثورة بدا وكانها تحاول تغطية عجزها السابق عن اتخاذ موقف صلب مشرف من المفاوضات ، بعملية (مكيدة ذات صوت داو) فانتهزت فرصة انعقاد المؤتمر السادس للحزب ووجه مذكرة الي حكومة بغداد وصف فيها بيان البزاز (الذى كان من طرف واحد) بانه (اتفاق) ميت لعدم تطبيقه . وفي تلك الاثناء كان رئيس الدولة (عبد الرحمن عارف) يعد العدة للسفر الي طهران في محاولة منه لتنقية الجو وقطع المعونة عن الثورة الكردية (كما فعل بعد ذلك وزير دفاع حكومة السيد احمد حسن البكر في ١٩٦٨) عندما شد الرحال هو الاخر والحرب محتدمة . لقد ظلت قيادة الحزب تدور في دوامة المفاوضات الهازلة التي كانت تعطي الفرص الذهبية كل مرة لاى حكم جديد في بغداد ليوطد كيانه تمهيدا لشن الحرب علي الثورة الكردية . ولم يستفد من هذه التجارب مطلقا .

في معظم الاحيان كانت القيادة التي يتالف منها معظم اعضاء الوفود المفاوضة عادة ـ تعزو عجزها عن تحقيق اى شي الي طغيان شخصية قائد الثورة عليها والي الزعم بانها انما تنطق بلسانه وتعبر عن اراءه ومطالب حددها هو نفسه . ان صح هذا الزعم ، فهو بحد ذاته دليل علي ضعف تلك القيادة التي لاتجرء علي تحدى خطأ رئيسها بالاستقالة مثلا وهو (أضعف الايمان) . ان صفة التحكم والطغيان والاستبداد في الرأى التي تعزى آلان الي (البارزاني) علي فرض وجودها أصلا فانها نتيجة طبيعية لتخاذل القيادة نفسها . ان القريبين من رئيس الحزب والقيادة كانوا يدركون جيدا بان رئيس الحزب كان ينزل عند رأى هذه القيادة عندما تتحد كلمتها علي امر مع انه خلق تلك القيادة خلقا . ولم يؤثر عنه مرة انه استعمل (الفيتو) علي قرار الاغلبية او استقل بتنفيذ امر مضاد للقيادة .

الباب الثالث

بيان آذار ١٩٧٠ ـ الاخطاء الكبيرة خلال ١٩٧٠ ـ ١٩٧٤ ـ نكبة الحزب والثورة في الامتيازات والمناصب ـ استغلال النفوذ والتجارة والتهريب ـ التسيب العام في التنظيم ـ انهيار الروح المعنوية

قام السوفييت بدور اساس في انهاء حالة القتال والمباشرة بالمفاوضات التي خنمت باتفاق ١١ آذار رغم تبرم ايران والنصح بالتريث فيها . علي كل حال كانت فرصة ذهبية لم تحن من قبل للنضال الكردى في العراق بل وفي اى مكان او زمان آخر من قبل . وفي هذه المرة لم يحسن الحزب بقيادته استغلال الفرصة ونزل امام شروط مائعة غامضة لحكم كان يتلهف الي فترة من الهدوء ليتفرغ خلالها الي توطيد كيانه والتخلص من خصومه . كانت قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني اكثر لهفة من الحكم الجديد الي الدخول في المفاوضات الخامسة والتوصل باسرع مايمكن الي سلام حسبته دائما ولاسباب لاتمت بقليل او كثير الي المصلحة الوطنية .

١ ـ كان من بين القيادة والبارزين في الحزب والثورة أناس ينطبق عليهم تعبير (صيادى الحظوظ) وسوليون انتهازيون

في الباطن من ادعياء اليسار والاشتراكية في الظاهر . رأوا في وساطة الاتحاد السوفياتي لانهاء القتال رفعا من قدر الثورة ونوعا من الاهتمام بها والدعم لها واعترافا بصحة مبادئها . لقد ألف هؤلاء فيما بينهم اثناء المفاوضات نوعا من الجدار او وماهو شبيه بالجبهة أثرت كثيرا علي اراء فريق من المتذبذبين المادي الرأي ـ لاجل لفلفة المفاوضات واختمارها والتساهل في أدق مطاليبها بشكل يدعو الي الاسف .

٢ ـ فريق ثان من اعضاء القيادة كان يرى ان نهاية الصراع المسلح يعني فوزه بمركز حكومي رفيع او انتقاله الي حياة مرفهة محاطة بكل اسباب الرعاية والاحترام ولذلك كان ينزل مكاسب الشعب الكردي المنزلة الثانية في برنامجه .

٣ ـ فريق ثالث انتهت حالة الحرب وما تتضمنه من شظف العيش والحرمان ففقد صبره والتحكم في ارادته وبلغ به الضجر الحد الذي صار معه لا يتورع عن المجاهرة بآرائه الانهزامية . فيقول وكنت تسمع هذا القول كثيرا ـ ان هذه الحرب لن تكون لها نهاية قط فالجيش الثوري الكردستاني لا يستطيع دفع القوات النظامية الحكومية الي السهول وقتالها فيها مثلما لاتقوى تلك القوات علي اقتحام المعاقل الجبلية وقهر البشمرگه . وان الدماء ستظل تسيل والارواح ستظل تزهق من الطرفين الي ان تصبح ارض كردستان قاعا صفصفا دونما نتيجة .

٤ ـ فريق آخر كان يقنع اندحاريته بقناع الوطنية والحرص علي المصلحة القومية فيرى ان استمرار هذه الحرب لا يخدم غير مصلحة الاجنبي الذي يدأب الآن علي امدادنا بالسلاح والمال خدمة لاهدافه السياسية البعيدة منها والقريبة وان الحزب والثورة اذا واصلا القتال ولم يبحثا عن حل سلمي فسيفقدان بالاخير لا اكثر من ضيعة للاجنبي والعودة في يده ومجرد منفذين لخططه ومن الخير والحالة هذه الاتفاق مع بغداد كيفما كان وان تضمن بعض التنازلات .

هؤلاء الفرقاء كانوا على اختلافهم في الدوافع والغايات يتفقون في نقطة واحدة وهي انهاء القتال ولو تم بالحصول علي الحد الادنى من الحقوق القومية .

ولكن ماهو هذا الحد الادني ؟

لم يكن في مقدور احد تحديده في حينه . لكن عندما بدأت المفاوضات في (ناوبردان) ثم انتقلت الي بغداد اصبح واضحا للمقربين بان هذا الحد ينطوي علي تنازلات وصلت الي حد التضحية باقدس واهم مبادئ الحزب والثورة كما سنرى بعد قليل . هؤلاء الفرقاء الاربعة الذين أتينا الى وصفهم لم يعيروا اذنا صاغية الى بضعة أصوات كانت تلح خارج قاعة المفاوضات علي وجوب التمسك بمبادئ وشعارات الحزب وجعلها مرشدا وأساسا للمفاوضات وعدم التنازل عن الحقوق لانها تتعلق بالشعب جميعا وهي وديعة وامانة في يد المفاوضين وليس بجائز التخويل اوالتوكيل علي التنازل عنها جزء او كلا .

لم يكن رئيس الحزب خريج مدرسة حقوق ولا مفروضا فيه ان يقف على تفاصيل جميع انماط الحكم الذاتي ودقائقه القانونية لكنه كان يعرف مثلا ان (كركوك) هي مدينة كردية وانها يجب ان تدخل ضمن منطقة الحكم الذاتي . عندما اعترض احد اعضاء الوفد الحكومي على القول زاعما انها مدينة عربية نهض رئيس الحزب مغضبا وترك القاعة معلنا قطع المفاوضات . اراد ان يختط برتوكولا ومنهاج عمل للمفاوضين الكرد وان يضعهم على طريق ونهج واضح فلم يتلق الاخوان المفاوضون هذا الدرس بالشكل الصحيح واعتبروها ثورة وقتية او حركة مسرحية القصد منها اظهار تصلب عفوي للتأثير على نفسية المفاوضين ليس الا . عندما انتقلت المداولات من دائرة المجاملات وابداء الصوادف الي التفاصيل اخذ المفاوضون الكرد يتسابقون الي ابداء التنازلات والترضيات .

لابد ان طلع الشعب الكردي يوما علي تفاصيل المأساة السياسية التي بدأت في ناوبردان وانتهت في بغداد ولن يستطيع الاحياء الذين شاركوا فيها ان يتكاتموا سرها (وان اختلفت الآن سبلهم النضالية) الى الابد . فلابد ان سترتفع اصوات اتهام من ارجاء كردستان مطالبة اياهم بازاحة الستار عن التفاصيل والوقائع وليس بمقدورنا هنا ان نبسط غير القليل وهو برأينا كاف لتقدير تأثير ماجرى على النهاية المأساوية التي آلت اليها الثورة الكردية في العراق .

لم تجر المفاوضات وفق الاصول المتبعة اعني ضبط المحاضر . كانت أشبه بمجلس عشائري مختلط (عربي ـ كردي) حافل بكثير من عبارات الود والمجاملة والمزاح اللطيف تدار خلاله اقداح القهوة والشاي ثم ينتقل الجميع الى قاعة الطعام وقد حفظ كل دوره القادم . لم يكترث احد بتدوين الوقائع وربما وجد من سجل ملاحظات خاصة والطرف الحكومي كان طبعا يحبذ هذا الاسلوب ولا تعجبه طريقة ضبط المحاضر لانه لا يريد ان ينزل هذه المفاوضات منزلة ما في التاريخ الوثائقي العراقي خوفا من استخدامها يوما حجة عليه ولان عدم ضبط الوقائع يبقي النتائج الغامضة قابلة للتفسير بحسب المزاج ويكتم سر اللاعبين الادوار غير المشرفة في مراحل المفاوضة .

كان من مبادئ الحزب الديمقراطي الكردستاني المسطرة في منهاجه نص على وجوب اعادة الحياة الديمقراطية بشكلها

البرلماني علي نطاق القطر العراقي لانه الضمان الحقيقي لتمتع كردستان العراقية بحكم ذاتي صحيح لكن اعضاء الوفد الحكومي رفضوا سماع اي اقتراح حول مايدعي بالانتخابات العامة معللين ذلك بانهم لم يصلوا الي الحكم بانتخابات عامة وانما بثورة (انقلاب) أطاحت بحكم رجعي عميل فاذا سمحوا بانتخابات عامة فأنهم لن يفعلوا أكثر من تسليمهم الحكم طواعية الي الفئات الرجعية العميلة التي اطاحوا بها بالقوة وبالمخاطرة بارواحهم . فأسرع المفاوض الكردي بطي الاقتراح باسرع مما نشره واعتذروا عن عملهم هذا بقولهم ان هذا المبدء لم يدخل المنهاج الا لاغراض مرحلية وتاكتيكية وان الحزب ثوري بالاصل فهو لا يؤمن كالحزب الحاكم في بغداد بالديمقراطية (الليبرالية) وبانتخاباتها .لقد كان هذا التخريج من أعجب العجائب . فجميع الدول ذات الانظمة الديمقراطية يسارية كانت ام يمينية تقدمية اوتأخرية اشتراكية او رأسمالية ان لم تمارس شعوبها حق الانتخاب بشكل صحيح فقد نصت دساتيرها على هذا الحق واعتبرته الدول العقائدية جزء لا يتجزء من مبادئها ،الا ان حكم بغداد قال انها (ديمقراطية ليبرالية) وماكان في وسع المفاوضين وحالتهم تلك التي اتينا الي وصفها ـ الا ان يرضخوا . وهكذا وبطرفة عين وايماءة من يد اسقط شعار " الحكم الذاتي لكردستان و الديمقراطية للعراق " .

ثم توالت التنازلات المبدئية كان من منهاج الحزب العمل على انهاء مشكلة جنسيات الكرد الفيليين المستحقين بالولادة او الاستيطان وبحكم القانون السائد فطرحت مسألتهم هذه وأجاب الوفد الحكومي ان القضية بسيطة جدا لاتحتاج الي ادخال في جدول الاعمال ،فليقدم الحزب قوائم باسماء الاشخاص الذين يطالبون بالجنسية الي وزير الداخلية فيصدر بهما قرارات متتابعة ولن ترفض اية حالة تستوفي الشرائط القانونية .فسر الوفد الكردي ونصح من الخارج بان هذا الاقتراح يخلو من اي ضمان او تعهد واذا كان الوفد جادا فيه حل مشكلة عشرات الالوف من اخواننا الفيليين فليقم بتعديل القانون بحيث يجعل القرار الاخير في منح الجنسية او انكاره بيد سلطة قضائية . وكانت هناك تجربة سابقة مماثلة لم يتعظ بها الوفد ان مثل هذا التدبير والوعد اعطاه لنا وزير داخلية الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ونكل عنه بعد اسبوعين .

بعد أقل من سنتين لاعلان بيان ١١ آذار طرد ثمانون ألف مواطن كردي عراقي (فيلية) من البلاد شرطردة وصودرت ممتلكاتهم التي قدرت بأكثر من اربعين مليون دينار وكانت نكسة مخزية للحزب الذي تبني مشكلتهم من الاول وضن عليهم بالمساعدة الاخوية وهو في اوج قوته . لم يقدم القيادة احتجاجا ولم تنظم مظاهرات ولم تهدد بقطع العلاقات .... أجل ظهر مقال شديد في جريدة الحزب بعد ان اجتاز آخر كردي الحدود فبدا وكأنه مرثية تتلى علي قبر ميت .

وضع لتنفيذ بنود بيان آذار أمد قدره اربع سنوات . لماذا هذه السنوات الاربع . في غضون فترة زمنية أقل من هذه نجحت ثلاثة انقلابات في الاستيلاء علي الحكم في العراق . ما الذي كان يمنع من وضع صيغة قانونية للحكم الذاتي تحلل مع الاتفاقية ؟ قالوا في تعليل ذلك ، هناك نقاط لم يتفق عليها بعد ستترك لاجراءات ومفاوضات فرعية مقبلة . لكن ظهر قبل انتهاء مفاوضات ١١ آذار وبعدها ان النقاط الفرعية المشار اليها انما هي في الواقع نقاط أصيلة .هي العمود الفقري في بناء الحكم الذاتي . فكيف غفلت القيادة عن ذلك ؟ كيف اعتبرتها نقاطا تفصيلية فرعية ؟ ان القيادة لم تكن بهذا القدر من العمي السياسي ولكنها كانت تخشى اذا اصرت على حسم هذه النقاط ـ ان تبلغ المفاوضات طريقا مسدودا impass دون ان تضع في تقديرها الأسباب التي دعت النظام الجديد الى تغيير جوهري في خط سيره لاجل الحصول علي فترة زمنية يلتقط بها انفاسه ويثبت اقدامه . ان اية مفاوضات من هذا النوع تجري في مثل هذه الظروف هي بمثابة امتحان دقيق لمتانة الاعصاب والامانة والحرص علي المصلحة فضلا عن كونها محكا للبراعة السياسية والذكاء وحسن انتهاز للفرص .

من النقاط التي أرجي بحثها مسألة مدينة (كركوك) وضواحيها . ان منطقة كركوك هي أغنى مناطق النفط في البلاد ومع ان الحكم الذاتي المنشود لم يتعرض مطلقا الي سيادة الحكومة المركزية عليها سياسيا او اقتصاديا اواجتماعيا شأنها شأن اية بقعة أخرى ضمن دائرة الحكم الذاتي الا ان استبعادها من خارطته كان سيعد فشلا معنويا كبيرا للثورة وحرمان عشرات الالوف من حقوقهم القومية . بدء الجدل حولها وكان الجو المشحون ينذر بالقطيعة وانهاء المفاوضات لكن ذهن التوفيقيين والحريصين علي مصالحهم من القيادة استطاع (انقاذ الموقف) وحمل الجميع علي الموافقة على شطب هذه المسألة من جدول اعمال المفاوضة و (تأجيلها) الى حين اجراء احصاء قومي عام لسكان العراق وتحديد منطقة الحكم الذاتي علي ضوئه .

ان أصواتا من الداخل والخارج حذرت القيادة من مغبة ذلك لكن الامر كان قد فرط لان القيادة اتفقت فيما بينها على ذلك وأقنعت البارزاني بوجهة نظرها ، ذلك الذي جابه الوفد الحكومي بقولته المشهورة " لو بقي في كركوك كردي ان فقط فان المدينة ستظل كردية " . ضيرا طبعا الي ان حكم بغداد قد يعمد الي التزوير او التهجير في المدينة للقضاء علي الاكثرية الكردية فيها واجل البحث كذلك بالنسبة الي (خانقين) و منطقة (سنجار) المركز الرئيس

لطائفة اليزيدية الكرد وكلاهما منطقة نفطية .

بعد اعلان بيان ١١ آذار وسط تهريج وعواطف لاسعنى لها في بغداد . انصبّ اهتمام القيادة علي توزيع المغانم. ومنها المناصب الحكومية التي خصصتها السلطة المركزية لاعضاء القيادة والبارزين في الثورة . وعلي خاصتهم واقربائهم دونما مراعاة للقابليات والكفاءات . وبدت تلك المناصب فهي أشبه بالعطايا التي ارتقت الي مرتبة الرشاوى . لقد فسرت عبارة " المشاركة في الحكم " الواردة في بيان آذار بتخصيص نسبة معينة من المناصب الادارية والتنفيذية للجانب الكردى وانا لـ الحزب الحاكم برئيس الحزب وقيادته توزيع تلك المناصب مع الاحتفاظ لنفسه بحق الاعتراض او التغيير . كانت القيادة ترشح الاسماء للمناصب المختلفة وتعرضها علي البارزاني الذى لم يتدخل والحق يقال الى الاخير ـ الا في تعيين قلة من الاشخاص . لم تكن هذه المناصب تعني شيئا ولم يكن لاصحابها من سلطة سوى الظاهر لان السلطتين التشريعية والقضائية كانتا محتكرتين من جانب الحزب الحاكم وقد أبى ان يسمع اى نقاش حول المشاركة بهما منذ البداية .

حمل الوفد الحكومي في طريقه الي (ناوبردان) للمفاوضة هدايا شخصية للرئيس واولاده ولكل عضو في المكتب السياسي وعضو في الوفد الكردى المتفاوض تتضمن حليا وحاجات ثمينة ومبالغ مالية فلم ترفض . وكانت بداية مشؤومة لتبرير قبول هدايا وعطايا من نوع آخر . قبلت هذه الهدايا علي سبيل المجاملة لاغير اذ لم يكن احد في حاجة اليها الا ان أثر هذه الهدايا المعنوى رغم تفاهتها كان سيئا عند جماهير الشعب الكردى .

عند المباشرة بتوزيع المناصب الكبيرة نشبت صراعات عجيبة عنيفة داخل القيادة اثناء المنافسة عليها وانقلبت الي نوع من المهاترات الصبيانية واخذ المتنافسون علي المناصب يتبادلون السباب والشتائم ونبش الماضي في ساحة ناوبردان الصغيرة وفي غمرة من اليأس والخيبة اللتين كانتا تستوليان على بعضهم كانوا يطرقون أبواب رئيس الحزب او يوسطون اقرباءه واصحاب الحظوة لديه لتزكيتهم الي منصب معين يطمعون اليه كما فعل مثلا احد اعضاء اللجنة المركزية معلم الابتدائية السابق الذى وجد ان منصب المدير العام الذى رشح له أصغر من ان يليق به ولم يقبل باقل من منصب محافظ.

مع هذا كله ، بقيت الكلمة الاخيرة في التعيينات طبعا للسلطة الحاكمة التي كانت ترتاح عند ترشيح شخصية ضعيفة اوصديق لها او من تتوسم فيه ان يكون لها صديقا وتتصلب وترفض عندما تشاء الصدف ان يرشح شخص قوى ارادة مخلص كفوء . والقيادة ـ التي كان يجب عليها الوقوف موقف المتصلب في الاسماء التي تقدمها احتراما لنفسها وللدور الذى انيط بها وللجبهة التي تمثلها ـ وافقت ان تتقدم باكثر من اسمين للمنصب الواحد تاركة للسلطة حق الاختيار وكثيرا ما كانت تعاد هذه القوائم مرفوضة ويطلب منها ترشيح اسماء اخرى .

بلغ تحكم السلطة في التعيينات حد التدخل في المقررات الحزبية الصرفة والي ابعد من التعيين في المناصب الحكومية. لقد اختارت اللجنة المركزية ومكتبها السياسى بموافقة تامة من رئيس الحزب وبالاجماع رئيسا لتحرير جريدة الحزب والثورة في بغداد . الا ان السلطة الحاكمة رفضت منح امتياز الجريدة اذا حملت اسم هذا الشخص متعللة بنفس الاسباب التي لم تمنعها من تعيين عضو في القيادة لمنصب وزير . فنزلت القيادة عند رغبة السلطة الحاكمة واقنعت رئيس الحزب بتدبير غريب وهو ان يزاول الشخص المرفوض مسوولية رئاسة التحرير الفعلية وان يوضع اسم آخر على الجريدة وكانت النتيجة ان ضاعت المسوولية في أحط واهم اداة تعبوية وتوجيهية للحزب والثورة وبعد ستة أشهر فقط من صدورها تبين للقيادة (رغم المكانة العظيمة والاحترام العميق اللذين حظيت بهما في قلوب الشعب العراقي عامة) انها لاتسير على الخطة التي انتهجتها هي نفسها حيال السلطة الحاكمة التي ضاقت ذرعا بسياسة الجريدة فراح رئيس تحريرها الفعلي ضحية واحد من العديد من التآمر الداخلي ضمن قيادة الحزب وأقيل ليحل محله هندسي مدني لايحسن كتابة سطر واحد ولم يسبق له اى عمل في الحقل الصحافي الا انه يمتاز بصفة بارزة وهي (علاقته الوثيقة) بالسلطة الحاكمة وزعامته لسياسة الترضية وتجنب الاحتكاك معها داخل القيادة . وفي ظرف ساعات معدودات انقلبت اخطر اداة تعبير سياسية للحزب واهم رسول حر للشعب العراقي الي بوق دعائية تسبح بحمد السلطة الحاكمة وتتنكر لمبادىء الحزب الديمقراطية .لقد تمت تصفية جميع المحررين والعاملين الحزبيين في الجريدة وبقي بعضهم من الحزب الشيوعي .

كانت سياسة المهادنة والتسكين ـ تحت غطاء جدوى الحوار السياسي مع السلطة ـ الاسلوب المحبب والغالب في مجال تطبيق بيان ١١ آذار . أطلقت القيادة العنان لاعضاء الحزب التائقين الى التحكم والسلطان فانوا باعمال مخزية تقع تحت طائلة القانون حقا ومن جهة اخرى اعطوا التنازلات الكبرى تحت تهديد بحاشي الاصطدام في الامور الثانوية والتصلب في الامور الكبيرة . فوفر للسلطة الحاكمة في الحالة الاولي الحجة لاستخدام العنف ومطاردة اعضاء الحزب بدون تفريق او تمييز بين الطيب والخبيث . وتحت زعم وقوع جرائم ومخالفات معينة أكثر من مقر للحزب من قبل القوات الحكومية

يمكن القول ان السلطة نجحت غاية النجاح في اختبارها النفسي الذي اخضعت القيادة له . فمن جملة الرشاوى التي قدمتها السلطة للقيادة انها أعفت السيارات الخاصة التي يستوردها اعضاء اللجنة المركزية من الرسوم الكمركية . فتسابقوا علي الشراء ثم البيع مستفيدين من فرق السعر الكبير وباع احد الوزراء من اعضاء اللجنة المركزية والمكتب السياسي سيارته واشترى بها بيتا . وكانت هذه اوسع من ان تكتم عن قواعد الحزب فعندما اضطرت القيادة الي معالجة الموقف واتخاذ قرار بوقف هذا التهافت انبرى احد اعضائها ليطلب تأجيل العمل بهذا القرار الي حين وصول سيارته المستوردة من الخارج

أزف موعد البدء بتنفيذ بنود بيان ١١ آذار بخصوص عموم كردستان ولاح الخلاف عميقا وبدا شبح الحرب المرعب امام القيادة التي أصابت كل ما تمتلكه من مغانم . واء في ذلك المستفيدون من السلم بصورة غير مشروعة او اولئك الذين اتكأوا باسترخاء وراحة علي مساند كراسي مناصبهم المريحة . رشح رئيس الحزب السكرتير العام ليكون نائبا لرئيس الجمهورية بمقتضي البيان الذين يقضي بان يكون احد نواب رئيس الجمهورية كرديا . وفي القيادة لم يكن هناك من يكن ودا لهذا السكرتير (الرجل الثاني في الحزب) الذي جيء به الي هذا المنصب (سخرة) كما كان هو نفسه يصرح به مازحا . فكان رفضه من قبل السلطة مصدر راحة وسرور لكثير من اعضاء القيادة . الا ان رئيس الحزب ابي ان يرشح غيره رغم محاولة السلطة (ارشاءه) باقتراحها عليه تعيين ابنه (أدريس) للمنصب . كانت الحجة التي استند اليها الحكم في بغداد لرفضه هي نفس الحجة التي لم تمنع الحكم من يتضمن اعلي جهاز فيه (مجلس قيادة الثورة) عضوين فيه .

بعد شهرين ونيف من التهيؤ للاحصاء القومي العام الذي كان سيقرر حدود منطقة الحكم الذاتي فوجيء الراي العام الكردي بتأجيله الي اشعار آخر (باتفاق بين قيادة الحزب والسلطة) لم ينشر تعليل واضح مقبول لهذا الاجراء لكن شاع في الاوساط الحزبية (بوحي من القيادة طبعا) ان هذا التأجيل هو من مصلحة الجانب الكردي الذي يتوفر له افضلية الاستعداد للاحصاء عند عودة النازحين بسبب الحرب الي مناطقهم لتأمين الاكثرية العددية . ليس ثم تشويه للحقيقة اعظم من هذا فالنازحون علي فرض وجودهم ليسوا غير قلة لاتغير من الميزان السكاني شيئا والاكثرية كانت مضمونة في كل زمان ومكان قبل الاجراءات الحكومية التي بدأتها السلطة بعد التأجيل مباشرة لاسيما وان السلطة كانت خلال الاشهر القلائل التي تلت اعلان البيان نخشى (تحريك الماء) واثارة نزاع جدي قد يؤدي الي القطيعة واستئناف القتال وهي بعد لم تكمل استعدادها للخطوة الثانية من خطتها للقضاء علي ثورة الشعب الكردي او تصفيتها فكريا .

بعد التأجيل مباشرة شرعت السلطة في تغيير المعالم السكانية للمناطق المختلف عليها ولاسيما مدينة (كركوك) فاستبدلت اسماء الشوارع والاحياء باخرى عربية واخذت تنقل أسر افراد الجيش والشرطة المقيمين اليها وتهيء لهم كل أسباب الاستقرار بما في ذلك منحهم مساكن ومساعدات مالية . واغرت ألوفا من عرب الجنوب بالسكني مستخدمة عين الوسائل وبمقابل ذلك شنت حملة ارهاب عنيفة علي الكرد في المدينة وأحيت ثارات قديمة بين التركمان والكرد وراحت تطارد اعضاء الحزب النشطين وتعرض مقر الحزب الي محاولات نسف وتحريب واغتيال افراد من لجنته المحلية فهرب جل الاعضاء خوفا من تعقيب السلطة او بناء علي طلب المقر العام ووقع بعضهم في يد السلطة فتم قتل بعضهم وتشويه بعضهم عقليا وجسديا . واضطر الحزب بعد سنة واحدة من اعلان بيان آذار الي اغلاق فروعه في كل من الموصل وكركوك وخانقين وبعض المدن والقصبات الاخرى . علي ان الحصار العسكري والهجوم النظامي المسلح الذي تعرض له مقر الحزب في الدوسل كان بعيد البيان باشهر قليلة . وفي خانقين بعد شهرين ونيف من البيان حوصر مقر الحزب والجيء اعضاء لجنته الي الهروب والاختفاء وتصاعدت حركة اضطهاد اعضاء الحزب ومؤازريه بشكل غير مفهوم بالمرة ولم تكن احتجاجات القيادة في بغداد باي مستوى من القوة او الجدية . كان اعضاء القيادة الذين يتسنمون مناصب رفيعة يتحدثون فيما بينهم عن اندفاعات طائشة وتهور ويشكون من التحرشات التي يقدم عليها اعضاء الحزب بالسلطة . غافلين عن ان السبب في ذلك (ان وجد) يعود الي التسيب وفقدان الانضباط الحزبي والقيادة مسؤولة عنه بالدرجة الاولي . لقد انفرط عقد القيادة بسبب المناصب التي تقلدوها والعصمات التي انيطت بهم وتوزعوا في رقعة واسعة تمتد من جنوب بغداد الي اقصي شمال العراق ومن شرقه الي غربه واضحت الاجتماعات الحزبية والسياسية قلقة عسيرة حتي تبلورت قيادتان واحدة في بغداد وتتألف من بعض اعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية من ذوي المناصب والمسؤوليات وثانية في (ناوبردان) . واخذت تصدر قرارات مضادة تصدر وفقا الاختلاف في وجهات نظر القيادتين واضحا وتباعدت افكارهما وكانت الاجتماعات الثنائية التي تعقد بينهما في المنطقة الكردية بحضور رئيس الحزب اوبدونه موقوفة في الغالب علي مسألة اسلوب التعامل مع السلطة ونادرا ما تطرق البحث عن وضع الحزب واعضائه بصورة عامة .

المنصف الذي يكتب للتاريخ ليس بامكانه لوم البعث العراقي علي اسلوب تعامله مع قيادة الحزب . اني لاستطيع ان اتصور الدهشة التي استولت علي السلطة عندما اكتشفت بعد فترة قليلة مبدئية التعامل مع قيادة الحزب بان ما

توقعته كان يختلف تماما عما وجدته . توقعت ان تجد صلابة فوجدت لينا وتسامحا يصل الي حد التفريط بالحقوق . توقعت ان تجد تماسكا واتحاد رأى فوجدت بدل ذلك تفككا وانشقاقا فكريا . توقعت ان تجد اخلاصا للمبادئ وحماسا فوجدت تخاذلا وتنكرا للعقيدة وتسابقا لنيل الرضا . وفضلا عن ذلك كله فليس هناك دولة ذات سيادة تستطيع ان تصبر علي سلطة منافسة لها في الداخل فالقانون قانونها وهي التي تطبقه بحسب تفسيرها له ومادامت السلطات في يدها وقد أبت التنازل ولو عن جزء قليل منها او بمعنى آخر مادام الحكم الذاتي غامضا لم تتقرر حدوده بعد .فالكلمة الاخيرة ستبقى لها وهي لاتستطيع السكوت عن التعديات والتجاوزات اللاقانونية التي يجترحها بعض المنتمين الي الثورة باسم الثورة اوالحزب . كان علي القيادة ان تتدخل لوقف هذه التجاوزات بنفس الصرامة التي كان عليها ان تتدخل لوقف تعديات السلطة نفسها ولكنها ظلت مكتوفة اليدين في الحالتين . احيانا كانت تحرج اصوات هامسة حول مرتكبي الجرائم من معسكر الثورة حلاصتها انهم من المقربين الي رئيس الحزب وانه يبسط حمايته عليهم .اذا صحت هذه الحجة واذا قبلنا بها فاية حجة يمكن ان تقدمها القيادة لاغفالها واحدا من اهم مبادئ الحزب ومقوماته ومصادر قوته في الماضي ،وهو مبدأ النقد الذاتي العلني للسياسة العامة ولتصرفات الاعضاء الصغار منهم والكبار وتطبيق العقوبات الانضباطية بحقهم لقد قمع النقد العلني لتصرفات الاعضاء القياديين الخاصة والحزبية لاسباب كثيرة منها

(اولا) اصبحت فروع الحزب مجرد نواد او مقاه يغشاها الاعضاء مع اصدقائهم واقربائهم لالسماع خطب او محاضرات بل لشرب الشاى وقضاء الحاجات وتسوية المعاملات الشخصية العوقوفة في دوائر الدولة واقتصر عمل لجان الفروع علي ترويج تلك المطالب واضاعة الوقت في تعقيب معاملة هذا العضو او ذاك . شكا لي يوما عضو لجنة مركزية عين محافظا انه ورئيس الفرع تسلما رسالة من جهة ذات كلمة نافذة في الثورة يطلب فيها تعبيد طريق بين قريتين في كردستان لتسهيل مرور موكب زفاف عروس واحد من اتباعه . لم تعد مقرات الفروع مدارس سياسية ووطنية تعقد فيها الاجتماعات الحزبية والندوات العلمية وانما اصبحت بمثابة فنادق وقاعات حفلات للمناسبات . ومواعيد لقاء .

(ثانيا) بسبب تسنم الاعضاء القياديين المناصب العالية في العاصمة وفي مراكز المحافظات والاقضية الكردية ولصيرورتهم المراجع العليا الادارية تحولت علاقة اعضاء الحزب الباقين بهم من علاقة ديمقراطية مبنية علي المساواة والصراحة والرفاقية الي صلة مصلحية امتهازية مبنية علي الخضوع الذليل والخوف . عندما يجد عضو الحزب ان عضو مكتبه السياسي محافظ وعضو اللجنة المركزية رئيس بلدية المحافظة ومدير شرطتها احد البارزين في الحزب فانه لم يكن بحاجة الى ذكاء شديد ليدرك ان اى نقد سرى اوعلني بحق احدهم لادمانه الخمر والمقامرة اولسرقته الاموال العامة اواهماله الفاضح لواجباته الحزبية اوالادارية سيجعله حتما في قائمة المنبوذين المكروهين المشكوك في سلوكهم وسيحارب ضمن النطاق الحزبي والمعاشي ويحرم علي الاقل من التقدم في المجالين . ان هذا العضو الحزبي لايكتفي بشراء سلامته وسلامة حاله بسكوته عن تصرفات القياديين فتقبل ان سكوته هذا قد يفيده في التساوم علي منفعة له فلابد انه سيحتاج يوما الى مراجعة احد الكبار وهو يدرك ان شكل استقباله وترويج حاجته يتوقفان علي حسن علاقته مع ذلك الكبير .

(ثالثا) انشغال اعضاء الحزب انفسهم ولاسيما الفريق المتقدم والكادر والمتفرغ انشغالهم بالوظائف التي حصلوا عليها وبالكسب التجارى الذى كان ينتهي عند بعضهم بالاستغلال والاستيلاء علي المال بطرق غير مشروعة متخذين بيان آذار مجرد فرصة عنت (لاستدراك مافات) من الاثراء . ومن خلال هذا الانشغال النهم بدء التحلل الخلقي والتنكر لمبادئ الاخلاق ينشران دخانهما الاسود الخانق علي الضمائر والوجدان فنشطت اعمال التهريب في مختلف مناطق كردستان علي طول ثلاثمائة كيلومتر من الحدود التي كان مفترضا ان تحميها قوات البشمركه التي صارت حرس الحدود) اعني قوة نظامية بحكم القانون وبموجب البيان . وليت اعمال التهريب قصرت علي المخترعات غير الضارة كالاقمشة وبعض المأكول والملبوس والمفروش فقد كان هناك بعض العذر بما تشكو منه كردستان من نقصان في هذه المواد . لم تعد اعمال التهريب قاصرة علي هذا وانما اندلعت رقعتها لتشمل السموم المخدرة القاتلة كالحشيش والهروين والافيون والكوكايين . لقد افاد بعض القادة العسكريين والبارزين في الحزب والثورة من سيطرتهم المطلقة علي الحدود فشكلوا عصابات تهريب من محاربي الثورة وابطالها وجرت خلال سنوات ١٩٧٠-١٩٧٤ عمليات تهريب مخزية بمبالغ خيالية . كان موقف السلطة المركزية من هذا في مبدء الامر موقفا بدا للمتتبع موقف خائف او متساهل يريد تفادى الاصطدام مع القيادة والرئيس ولو على حساب السمعة والهيبة الحكومية بل علي حساب السلامة العامة . الا ان هذا التغاضي الذى بدا كذلك لم يكن يتناسب مع الصرامة القاسية التي عوملت بها الصراعات بين الخونين في المناطق الكردية الي حد المجابهة العسكرية والقصف الجوى كما حصل في منطقتي سنجار وقصرة

وفي هذا دلالة على ان الحكم كان يود ان يفوض الحزب في حمأة التحلل الخلقي والتفسخ الضميري أكثر فأكثر ليسهل حطمهُ ان لم عسكريا فسياسيا . اذا كان للسلطة عذرها هذا في الاغضاء مبدئيا عن جرائم عقوبتها الموت فلا عذر القيادة في التغاضي عن عمليات التهريب هذه ولم تكن بخافية على اي فرد منهم . ان اعضاء القيادة كانوا يكفون بالتهامس فيما بينهم وربما تجرأ بعضهم على استنكار ذلك امام رئيس الحزب بشكل فردي فحسب . من الصعب تبرير ميوعة موقف القيادة من هذه الجرائم وعدم اتخاذ اجراء حدي من تلك الفضائح الاخلاقية والاعمال الاجرامية كاتخاذ قرار بعزل وطرد الفاعلين وتجريدهم من صلاحياتهم رغم ارادة رئيس الحزب او غضبه واعلان ذلك القرار . اذ لم يكن رئيس الحزب الذي تعزى اليه آلان صفة الدكتاتورية والتحكم في موقف يستطيع معه عزل كل القيادة اوسجنها لاتخاذها قرارا بحق مجرم تونرات فضائحه وتعددت جرائمه .

ان تخاذل القيادة في معالجة الاجرام والتفسخ الخلقي داخل الحزب يعبر عنه تعليق خاص ادلى به عضو في اللجنة المركزية لاحد مسوولي الثورة اذ قال " اذا كان مقدرا لعمليات التهريب والمخدرات خصوصا ـ ان تمضي قدما تحت سمعنا وبصرنا فلماذا لانتولى نحن تنظيمها واستغلالها وجعلها مصدرا من مصادر دخل الثورة بدل ان تدخل ارباحها جيوب افراد منه ؟ " .

وصار فريق من اعضاء الحزب المقربين محاسرة ووسطاء لقضاء الحاجات وظهر منهم ومن اقربائهم فجأة متعهدون للقيام بالاعمال الانشائية التي قررتها الحكومة في منطقة كردستان بموجب مشاريع الاعمار . لقد فرض هوءلاء المتعهدون من قبل المسولين الاداريين الجدد وان كانت عطاءاتهم تزيد كثيرا عن عطاءات الاخرين ولا يملكون اية تجربة ماضية . فانهارت ابنية مدارس بعد سنة واحدة من بنائها وامتلات طرق حفرا بعد أشهر من تبليطها وكان الطرد اوالنقل اهون مايتوقعه المهندس او الموظف الذي يرفض تسلم هذه الانشاءات مهما كانت مخالفات المتعهد كبيرة . من الصعب جدا ان يصمد العضو الحزبي امام هذه الاغراءات عندما يجد من تصرفات القياديين او الاعلين منه في السلم الحزبي مايشجعه ويقضي على تردده .

كذلك كان من الصعب تفسير اطلاق القيادة العنان للالوف من اعضاء الحزب ولاسيما المكلفون منهم بمهام خاصة او ممن لنيطت بهم مسوليات ـ للكشف عن هوياتهم والتصرف باستهتار ورعونة دون تقييدهم بتعليمات محددة تتعلق بسلوكهم اطلقتهم في المدن والقصبات دون التفكير بسلامتهم ودون الاحتفاظ بخط رجعة لهم او امكانية تعرضهم للاخطار او الاغراء او التهديد من قبل الحزب الحاكم . وعن هذا السبيل قامت بضعة اشهر على اعلان البيان حتى كانت السلطة قد جمعت كل ماارادت الاطلاع عليه من المعلومات عن الحزب واعضائه العاملين . ولم تكن بالتي الكثير . لقد بهتت السلطة للسرعة والسهولة التي استطاعت بهما جمع كل ما تريد معرفته من معلومات حول ذلك الحزب الذي بدا امامها ضخما مشعشرا يقود ثورة مسلحة صامدة لاكثر من ثماني سنوات حتى اخذت تشك في صحة ماتوصلت اليه . انها في تصورنا ـ ماكانت مستعدة قط للاعتقاد بان الطيش والاستهتار وضعف التجربة وانعدام الرقابة الحزبية بل الايمان بحسن نواياها سيلتقي بقيادة الحزب الحد الذي تتطرح فيه كل وسائل الحذر والحيطة وتضع سلامة اعضاء حزبها الفعالين في كفة القدر بالقذف بهم الى ميدان العمل العلني صفقة واحدة دون اي حساب للمستقبل ودون الاحتفاظ بخط رجعة مهما كان قصيرا .

ان هذه المذاجة السياسية والانفتاح التام امام السلطة الحاكمة بدوائر امنها واستخباراتها الى حيرة حتى شكت لفترة من الزمن بان في الامر خدعة اومناورة وان قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني كأية قيادة حزبية ثورية مقاتلة تحتفظ في الخلفية بقيادة احتياطية (قيادة ظل) تتولى المسوولية اذا ما اعترى العجز قيادة الحزب لاي سبب كالاعتقال الجماعي او التصفية .

ان نشاط الحزب العلني في المدن والقصبات ولاسيما في تلك الاجزاء من العراق التي كان ظهور الحزب فيها بارزا ـ سياسيا اواداريا اوعسكريا ، ادى الى ان تتعرض كوادره ومراكز فروعه الى الحملات القمعية الجماعية اوالفردية بحق اوبدون حق فهوجمت مراكز بعض الفروع بقطعات من الجيش وضربت بالنار وفي احيان استخدمت الطائرات والمدفعية الثقيلة . من الصعب ان نتقدم باحصاء دقيق اوتقريبي عن حوادث اختطاف الاعضاء النشطين والفعالين واحتجازهم والمحتجزين واخضاعهم الى الوان بشعة من التعذيب وقتل عدد كبير منهم بعد تجرعهم آلام تفوق طاقة البشر . كل ذلك دون ان تأخذ قيادة الحزب الشهامة الحزبية او تفكر بالرابطة الرفاقية كمحرك لعمل فعال ، أكثر من مجرد الاحتجاج الضعيف الذي يشبه الرجاء والتوسط . كانت هذه الاحداث الدامية في نظرها اقل من ان تدعو الى المخاطرة بمراكزها باستقالة جماعية او بعمل حاسم كالمقابلة بالمثل . كل مااتخذته من تدبير في هذا الصدد انها اتخذت قرارا " يعتبر كل اعتراف انتزعت اجهزة الامن والتعذيب الحكومية من العضو الحزبي بالتعذيب والاكراه غير مخل بشرف العضو الحزبي ولا بمركزه " .

بعد سكوتهم عن اعمال القتل والاغتيال والتعذيب خرجوا بمثل هذا القرار الغريب لمعالجة الموقف . وبعد ان شعرت بحراجة موقفها امام الجماهير الكردية الساخطة والناقمة . كان عليها ان تفعل شيئا . هل تخاطر باستقالة اجماعية ؟ هل ترد علي الجريمة باعمال ثأرية مقابلة ؟ كلا ابدا فلم يكن هذا موضع بحث بل تفكير أصلا . ان الضعف والتخاذل امام السلطة وحرصها علي عدم قطع (شعرة معاوية) معها جعلها تنظر الى كل حادث هجوم عسكرى او حادث اغتيال او قتل اوتعذيب كقضية منفردة منفصلة عن القضية العامة فتختلق الاعذار لتبرر بعض التبرير عمل السلطة لتخلص بالنتيجة المحتومه وهي انه لا داعي للمخاطرة بالعلاقات مع السلطة بسبب تعرض (فلان) الي الخطف او التعذيب او القتل فقد كان بدرجة من قصر النظر انه لم يتخذ الحيطة الكافية . او كان مندفعا أكثر من اللازم أو . . . أو . . .

هذا التخاذل شجع جهاز السلطة الامني والتصفوى علي التطاول الى التآمر على حياة قلة صغيرة من القياديين والبارزين الذين لم تنجح السلطة في (تدجينهم) اواغرائهم . وكان حادث اطلاق النار علي سيارة ابن رئيس الحزب وعضو اللجنة المركزية في بغداد لقتله . واعقبته بعد أسابيع تلك المؤامرة المتفقة علي حياة قائد الثورة نفسه في مقره لتتلوها مؤامرتان اخريان عليه . قد تقوم هذه المحاولات دليلا منطقيا بان السلطة الجاكة ماعادت تعير قيادة الحزب في بغداد اية اهمية

كانت مؤامرة الاغتيال الكبرى واضحة القصد بقدر وضوح مصدرها ومع ذلك شك بعض القياديين في ان تكون للسلطة يد فيها . وبالاخير لم ترفض اقتراح السلطة نفسها مشاركة تلك القيادة في اللجنة التحقيقية التى ألفتها للتحقيق عن (خفايا المؤامرة ومدبريها) باثنين من اعضائها .

في قاعة المؤتمر الثامن للحزب المنعقد في تموز ١٩٧٠ وضعت اللبنات الاولى لسياسة الترضية والسكوت التي اتبعتها القيادة فيما بعد . كما وضعت الأسس لتدهور سمعة الحزب الجماهيرية وتطعيم اللجنة المركزية بعناصر خائرة والاصرار على ابقاء العناصر الضعيفة السابقة أضاع الحزب فرصته الذهبية في ادخال دماء جديدة الي القيادة بمؤتمره وراح هو ومندوبوه الي المؤتمر ضحية تآمر غريب اضطلعت به القيادة نفسها عند تدخلها السافر والفاضح لانتقاء من تريدهم لاملاء النقص العددى الذى كانت تشكوه من جهة وللابقاء علي طاقم القيادة القديم من جهة ثانية .

كانت ظروف الحزب والثورة بعد بيان ١١ آذار توجب دخول عناصر مثقفة كفوءة متشربة تماما بمبادئ الحزب و والثورة مخلصة ومتحمسة لتتولي مراقبة تطبيق بيان آذار وادارة دفة الحزب من الناحيتين الفكرية والتنظيمية في اعلي مرحلة توسع ونفوذ بلغها وخلال أدق الفترات التي مربها واحفلها بالمسوولیات الجسام والتبعات .

لانشك في صدق البارزاني عندما وقف في قاعة المؤتمر ليثبه المندوبين بانهم احرار في اختيار من يريدون للقيادة ونفى ان توجد هناك قائمة اصدرها او اطلع عليها تتضمن اسماء من يرغب في انتخابهم . على انه كانت هناك قائمة فعلا يقوم بترويجها فريق من اعضاء القيادة بموافقة معظم اعضائها مع الايحاء (او القول الصريح احيانا) للمندوبين بانها موضع رضي البارزاني نفسه وقد قوى هذا الايحاء وجود اسمي (ادريس ومسعود) ابني البارزاني فيها . لقد كان ابنا البارزاني هذين يتمتعان بصلاحيات اعلي من صلاحياتهما كعضوين في اللجنة المركزية قبل انتخابهما كما يعرف الجميع فما الذى دفعهما الي ترشيح انفسهما في هذه المرحلة ؟ لقد كان ذلك جزء من المؤامرة علي المؤتمر يضمن نجاحها

قال واضعو تلك القائمة (التي لم يكن منافس لها) في تبرير ادخالهم العناصر الامية الجاهلة التي لم يسبق لها العمل في الحقل السياسي ان هؤلاء كانوا من القادة العسكريين الذين لمعت اسماؤهم اثناء الحرب وسيفقدون مراكزهم العسكرية بعد البيان وبحلول السلام في الوقت الذى لم يكن في الوسع ايجاد مناصب حكومية لهم وسيكون ضمهم الى القيادة (تمثيلا للبشمركة) فيها فضلا عن كونه تعويضا لهم ومكافأة . من المؤسف ان مروجي هذا التعليل الافلج هم من المثقفين القياديين والمتحرسين في العمل الحزبي . لنقد جند هؤلاء ابني البارزاني لهذا الغرض بعد ان اقنعاهما باصالة الفكرة وصاروا يرافقونهما في زيارات تجمعات المندوبين بحجة الزيارة قبل انعقاد المؤتمر ترويجا للقائمة .

وكأن هذا لم يكن كافيا فقد عمدت القيادة الى خرق نظام الحزب الداخلي بقبولها اعضاء جددا فيه عشية انعقاد المؤتمر لان هؤلاء الاعضاء سيكونون بعد يومين او ثلاثة اعضاء في اللجنة المركزية الجديدة في حين يقضى نظام الحزب بعدم جواز ترشيح عضو الجزب نفسه للجنته المركزية ان لم يحز علي عضويته هذه سنتان على الاقل .

لقد قبلت اللجنة المركزية الترشيح للعضوية ثم الترشيح للجنة المركزية بناء على رغبة البارزانى واداره مشيرا بذلك الي انه (يريد ان يكون هذا العضو الجديد عضوا في اللجنة المركزية المقبلة) كان في مقدور المكتب السياسي ان يبقى مصرا علي رفضه حرق النظام والطلب من البارزاني نفسه ان يتخذ قرارا بنفسه وان يفرضه او يفرضهم اعضاء في اللجنة المركزية فهو أحفظ لكرامة القيادة وهيبتها من الانسياق وراء خوف موهوم خوفها من غضب البارزاني واستبدادها الى نفسه . مثل هذا الخوف لاوجود له الا في مخيلة الخائرى العزيمة او ذوى المصالح المتربصين عليها . لقد اتخذت كلمة

هذه القيادة في آذار ١٩٧٤ وقررت ضرورة ايفاد ابن البارزاني ادريس الي حكام بغداد في محاولة أخيرة لتفادي القتال رغم معرفة البارزاني نفسه وأكثرية كاثرة من جماهير الشعب الكردي بعقم المحاولة - ورغم احتمال تعرض الرسول الى الخطر ورغم ارادة البارزاني نفسه

ولم يكتف بهذا عندما أصر كثير من العقد وبين علي حرية الاختيار وملأوا القسائم باسماء من يريدونهم . الا ان كل من كان اسمه قد أدخل القائمة فاز بعد تزوير واضح قام به قارئوا الاسماء ومسجلوها انكشف بعضه عندما خرجت قائمة الاصوات تحمل عددا متساويا تماما من الاصوات لابني البارزاني . فقد خشي المشرفون علي الاصوات ان يحرز احدهما صوتا واحدا أكثر من الآخر فيخل هذا بنظرة المساواة التي كان ينظر بها الجميع الي الاخرين . مجاملة خرجت عن طور المعقول واوجبت التساؤل الحاد .

ان المقام لايتسع لسرد مصير كل فرد من اعضاء اللجنة المركزية الجدد واخوانهم الآخرين الذين شتتهم القائمة في مراكزهم الحزبية . فقد كان منهم العميل والسارق والخائن والمتآمر وبقيتهم أبت بالاخير مشاركة الشعب الكردي المنكوب المنفي فعادت لتسبح بحمد السلطة التي كانت تقاتلها ولتعرض خدماتها عليها بأبشع صورة من الصور .

وكل هذا يهون عند قيام القيادة بالتنازل عن أهم مبدأ من مبادئ الحزب في سبيل التقرب من الحزب الحاكم . ظل الحزب وقياداته المختلفة منذ تأسيسه حتى الجلسة الثانية من مؤتمره الثامن (١٩٧٠) يدعو الى اشاعة الحياة الديمقراطية على أساس الانتخاب الحر السري المباشر المتساوي وكان يعتقد بحق انه الضمان الوحيد الحقيقي للشراكة الصحيحة في الوطن الواحد بين القوميتين العربية والكردية . فنص علي ذلك في منهاجه بعبارة صريحة واضحة . فهي اثناء مفاوضات الصلح التي سبقت المؤتمر وخلال المحادثات افصح الوفد الحكومي والحزبي بان النظام الحالي لايؤمن قط بالديمقراطية التي يدعو اليها الحزب الديمقراطي الكردستاني مطلقا عليها اسم (الديمقراطية الليبرالية) وانه غير مستعد قط للبحث حول ايجاد مؤسسات ديمقراطية برلمانية تقوم علي الاقتراع العام الحر السري المباشر والمتساوي . ففهم اعضاء قيادة الحزب ماكان يراد منهم عمله واتفقوا علي مشاورة لحمل المؤتمر علي الغاء هذه الفقرة من المنهاج ضمن بعض التعديلات الاخرى الهامشية والثانوية التي عرضها المكتب السياسي علي المندوبين . لقد استغل القياديون افتقار جل المندوبين الي التفهم السياسي والقانوني ومع هذا نال هذا التعديل بالذات اغلبية ضئيلة جدا استدعت احصاء الاصوات ثلاث مرات و رغم طلب بعض الاعضاء ان يجرى الاحصاء بالاسماء لابعد الايادي . كان واحدا من أغلى واسمى التضحيات العشائرية التي قدمت باسم الحزب للسلطة الحاكمة عربونا للتنازلات الكثيرة التي سبقتها او لحقت بها .

في نظر قيادة الحزب والثورة ان بيان ١١ آذار كان " مفتاحا لحل القضايا المعلقة في البلاد وطريقا لتحقيق منجزات كبرى للشعب . . . وانتصارا لمبادئ الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب البعث العربي الاشتراكي وتحقيقا لهدف سام ناضل من أجله الشعب العراقي وقواه الوطنية ردحا من الزمن . وكان كذلك ضربة للافكار الشوفينية والعنصرية والقوى التي استندت علي تفرقة ابناء الشعب في فرض سيطرتها " " . . . ان ماتنتج عن هذه الاتفاقية نهج مبني علي التحالف والتعاون بيننا حزبينا علي مختلف الاصعدة وكانت حصيلته تحقيق منجزات كبرى للشعب العراقي والسير خطوات كبيرة نحو تطبيق الحقوق القومية للشعب الكردي " (في سبيل السلم والوحدة الوطنية ص٣ ـ بغداد ١٩٧٣) .

كان هذا رأى القيادة في بيان آذار بعد ان مضى علي اعلانه ثلثا المدة المقررة لتطبيقه كله : وبعد ان لاحت اشباح الحرب وتكاثفت غيوم سوء الظنون وخيم اليأس فوق ذرى جبال كردستان . بعد ان بدت نصوصه في نظر العراقيين السياسيين والواقعيين من رجال الحزب والثورة مجرد وعود مكذوبة غامضة او متحايل عليها لاتختلف مطلقا عن وعود مماثلة قطعتها علي نفسها حكومات سابقة عراقية ونكثت عنها . وفي هذا الوقت بالذات كانت السلطة الحاكمة قد اكملت خطتها في تصفية القضية الكردية حربا اوسلما ووضعتها على الأسس التالية ـ

١ ـ ان معظم اعضاء قيادة الحزب لاخطر منه وبالامكان التفاهم مع بعضها لانهم اصدقاء ، مثلما كان ممكنا إخفات اصوات الاقلية المعارضة فيها اما بشرائهم اوتصفيتهم جسديا

٢ ـ ان رئيس الحزب يمثل عقبة جدية في سبيل (الحل النهائي) للقضية الكردية وان موقفه هذا خطر للغاية لانه مدعم من جهات خارجية (امبريالية) .

٣ ـ ان ازاحة رئيس الحزب عن مركز الزعامة باى شكل كان ، سيرفع عامل الريبة والتردد الذى تشعر به قيادة الحزب امام الرئيس الذى يتمتع بمكانة في قلوب الشعب الكردى تسمو لتقف حائلا دون اية مناورة او مؤامرة علي حقوقه القومية .

ان الحزب الحاكم وفقا لمخططه الموضوع سلفا لم يكتف بتقديم الادلة الصارخة علي تصوراته الشوفينية لحل القضية الكردية

(حلاً نهائيا) وبتفسير بيان آذار تفسيرا يتفق مع مخططه هذا، بل باشر في سبيل تحقيق هذا الغرض بعملية مخزية للقيادة وهي ملق احزاب او هياكل احزاب سياسية كردية تعمل ضد الحزب والثورة ومرتبطة بدوائر الامن والاستخبارات . بدأت السلطة بتنفيذ هذا الجزء من مخططها العام لحل القضية الكردية (حلاً نهائيا) في الاسابيع الاولى التي عقبت البيان عندما اخذت تحاول ببذل الوعود وعرض الضمانات باحباط مساعي الصلح بين القيادة الحزبية المنشقة ١٩٦٤ وبين قيادة الثورة والحزب . لقد كان فريق من اعضاء القيادة يتعنى فشل تلك المساعي وبقاء القطيعة . أهي غفلة ؟ ام مجرد خوف على المراكز ؟

ماذا كان موقف القيادة من هذا العمل ؟

تطورت السلطة الحاكمة مادعي بميثاق العمل الوطني (ميثاق الجبهة الوطنية) بدعا جميع الاحزاب والفئات والكتل السياسية الي الدخول فيه . لقد كان لااكثر من دعوة حزب مسيطر مصمم على عدم التنازل عن اى جزء من سلطته ـ الي احزاب اخرى لتكون مجرد توابع له تدور في فلكه وتستسلم لارادته وتمتثل لاوامره .

في ميثاق الجبهة هذا اوضحت السلطة انها غير مستعدة للمناقشة في اية نقطة من النقاط التالية (١) ان الحزب الحاكم هو الحزب الطليعي القائد وصاحب المنزلة الاولي وان الاحزاب الباقية متساوية في منزلتها الثانية . (٢) ان القوات المسلحة العراقية (الجيش والشرطة والجيش الشعبي) هي مؤسسات مقفلة في وجه جميع الاحزاب المنضمة الي الميثاق باستثناء الحزب الحاكم . وتبعا لذلك فان اى نشاط سياسي تمارسه الاحزاب الباقية المنضمة الي الجبهة يعتبر جريمة تبلغ عقوبتها الاعدام (٣) ان الحزب الحاكم يستقل في رسم سياسة البلاد الداخلية والخارجية على السواء (٤) سيبقي الحزب الحاكم يجمع بيده (طوال فترة الانتقال غير المحدودة) السلطات الثلاث في البلاد: التشريعية والتنفيذية والقضائية ، عن طريق مجلس قيادة الثورة .

لاشك ان القبول بمثل هذا المركز في اية جبهة معناه القتل الحقيقي للحزب أي حزب وصهره في بوتقة الذيلية والتبعية في الواقع كان الحزب الديمقراطي الكردستاني هو المقصود بفخ الجبهة كمحاولة اخرى لتصفيته وتصفية الثورة . بلاجدال كان الحزب السياسي الوحيد الذى يملك من المقومات المادية والروحية مايمكنه من الوقوف في وجه الحزب الحاكم. ومركزه يختلف عن مركز الفئات السياسية الاخرى التي فتك في عضدها الانقسام وانهكها تعرض اعضائها الي السجن والتعذيب والتنكيل وكان عليها ان تتخير بين الانضمام الي تلك الجبهة وبين التصفية النهائية . وعلي هذا الاساس رضي الحزب الشيوعي متنازلا عن عنوانه العزيز عليه (الحزب الطليعي) الذى بقي يحرص عليه ويدافع عنه اكثر من ربع قرن لاسيما امام الحزب الديمقراطي الكردستاني عندما كان ينكر عليه تبنيه الشعارات الاشتراكية واليسارية الذى اعتبرها امتيازا له وابتكارا موقوفا عليه انذاك (انظر الباب الاول) ولم يعترض او يحاول الدفاع عن احتكاره هذا امام الحزب الحاكم . ولاشك ان النجاة من القتل والتعذيب وموقف الاتحاد السوفياتي الودود من الحكم في العراق كانا من اهم الاسباب التي حملته علي النزول من مركز (الحزب الطليعي) وقبوله بمركز (الحزب التابع) . كان علي بقايا الكتل السياسية والاحزاب الاخرى أن تتخير ايضا بين الموت السريع او الحياة الذليلة . الا ان الامر كان مختلفا بالنسبة للحزب الديمقراطي الكردستاني كما بينا . ومع هذا اخذ بعض القياديين القريبين أكثر من سواهم من السلطة وممن كان يطمع بالحظوة لديها ، يمتدح الناحية الايجابية في ميثاق الجبهة ويخفف من سلبياته مبديا تفاؤله في امكان تعديل هذه السلبيات بالحوار الذى قد يؤدى الي زحزحة الحزب الحاكم عن موقفه . وكان الميل يقوى بالايام لا بالاسابيع بخصوص الانضمام الي الجبهة . الا ان موقف رئيس الحزب الحديثي هو الذى انقذ الحزب والثورة من الوقوع (كليا) في شدقي الاسد . قيل ان الايرانيين نصحوا البارزاني بذلك . وانا لا استطيع نفي ذلك او اثباته لكني أقول ـ اذا صح الامر فهل كان يترتب على الحزب والثورة الانضمام الي الجبهة لمجرد محاكمة ايران او لان النصح بذ رمنها . ان كاتب هذه الرسالة يعلم عن يقين بان ايران (وكانت المساعدة الوحيدة للثورة آنذاك) نصحت البارزاني بعدم الاتفاق علي بيان ١١ آذار والحث في ذلك !

بعد قليل اخذت السلطة الحاكمة تسلح الحزب الشيوعي العراقي الذى اضطر بعد انضمامه الى الجبهة ويرضخ الي تحريض السلطة التي افهمته ان بامكانه الحصول علي مناطق نفوذ له داخل كردستان الامر الذى أدى الي صدامات مسلحة في اواخر العام ١٩٧٣ واوائل ١٩٧٤ وسقوط قتلي من الطرفين . والحزب الحاكم يتفرج وكأن هذه الاشتباكات تجرى في ارض غير عراقية او كان الامر لا يعنيها في شيء .

من المفيد هنا ان نقتبس فقرة من رأى القيادة في البارزاني بعد رفضه الدخول في الجبهة مباشرة "لقد قضى (ان البارزاني) عقودا طويلة من عمره المديد مناضلا في الكهوف والجبال والمنافي في سبيل حقوق شعبه مكتفيا بالقليل من الزاد في حين كانت العهود السابقة تصرف عشرات الالوف علي المرتزقة من أجل القضاء عليه وتصفية الحركة الكردية . . . انه

لم يكن في يوم من الايام طالب مال ولاباحثا عن ثروة (جريدة التآخي ١١٧١-٢٤ تشرين الاول ١٩٧٢) .

لقد أصدر المكتب السياسي في اوائل النصف الثاني من العام ١٩٧٢ بيانا ، وضع التوصل منبقا الي حلول نهائيـــة وصيغ متفق عليها بشأن مسالتي تحديد منطقة الحكم الذاتي وصياغة محتوى هذا الحكم ، كشرط للانضمام الي الجبهـــة وكأنه أراد بذلك تدارك الغموض في بيان الحادي عشر من آذار . الا ان الفرصة كانت قد افلتت لان الحزب الحاكـــم اصبح من القوة بحيث ماعاد يهتم لو دخل في حرب ثانية معنا .

" اذا تناولت طعامك مع الشيطان فلتكن ملعقتك طويلة الذراع "

البـاب الرابـــع

الدعم الخارجي ـ ضرورته واثره ـ مبررات الثورة في الاعتماد عليـه
تدخل القوى الخارجية لمساندة النظام العراقي ضد الثورة ـ الموقـف
العربي العام من الثورة والقضية الكردية وأثر ذلك في موقف دول الكتلة
الشرقية ـ الاهتمام الغربي بالثورة ـ الانهيار الداخلي والتصفيـــة
ـ التبعـة في الخيانة والتقصيـر والخطأ .

الآن وبعد الفشل الذي أصاب الثورة الكردية طفق فريق من القيادة يعتبر اعتماد الثورة علي المساعدة والدعم الخارجيين من الاسباب الجوهرية لفشل الثورة ان لم يكن السبب الرئيس .

قلنا فيما سبق ان الحزب الديمقراطي الكردستاني ورئيسه لم يقدرا للانتفاضة المسلحة التي ترأسها اصحاب المصالـح المضروبـة وملاك الارض ، ان تتحول الي حركة شعبية لتنقلب رأسا الي ثورة كاملة الابعاد ، الا بعد ان أخذ زعماء هذه الانتفاضة ينفضون من حول الفلاحين المسلحين الذين تبعوهم بدافع المصلحة والولاء القبلي والنفرة الطبيعية من الحكومات العراقية المتعاقبة . لقد أخذ هؤلاء الشيوخ والاغوات شأنهم في ذلك شأن آبائهم واجدادهم يعقدون صفقاتهـــم الخاصة مع السلطة تاركين الفلاحين يتخبطون ويدورون حول انفسهم . لم يكن الحزب اورئيسه بقادرين على منح هؤلاء المسلحين البسطاء أكثر من القيادة والتوجيه والتوعية وبمقابل ذلك منحتهما جماهير الشعب الثقة الكاملة وحق التصرف المطلق في الارواح والاموال ولم تكن هذه الاخيرة تكفي بأية صورة من الصور كافية لسد مطالب ثورة امتدت زهـــاء ثلاث عشرة سنة ، والوصول بها الي اهدافها لاسباب وعوامل اخرى عديدة نذكر منها :ـ

(١) اخذت رقعة القتال تتسع بالتدريج لتشمل كردستان العراقية باجمعها . وازداد معها استخدام قطعات الجيش العراقي وقوات الشرطة دعك من الالوف العديدة من المرتزقة الكرد والعرب الذين جندتهم السلطة كوحدات غير نظامية واطلقتهم في الاراضي والقرى التي يحتلونها ليقتلوا الماشية ويحرقوا الزرع ويدمروا المساكن وكل ما تتـــسع عليه يدهم تطبيقا لخطة محاصرة الثورة اقتصاديا ومن ثم القضاء عليها عسكريا .

(٢) كان من نتائج خطة الابادة والتدمير هذه ، ان هجرت مئات القرى وتركت مساحات شاسعة من الحقول غير مستغلة وانتقال اهلها وفلاحيها الي قلب كردستان وصيرورتهم عالة وكلا علي الثورة .

(٣) تنافي قوة الثورة وزيادة عدد المقاتلين بشكل غير مدروس او متوقع وتزوج أعداد كبيرة من اهل المدن الي مناطق الثورة ولا سيما اثناء فترة الارهاب الدموي عند مجيء القوميين والبعثيين الى الحكم في العام ١٩٦٣ . فقد هرب الكثير مـــن الشيوعيين واليساريين والقاسميين وافراد القوات المسلحة واعضاء النقابات خوفا علي حياتهم . ثم النـــزوح الاكبر قبيل استئناف القتال في ١٩٧٤ .

(٤) ازدياد الحاجة الي خدمات معينة لاتتوفر للسلطة مطلقا كالخدمات الصحية والكساء والطعام والوقود ، كانت الثورة في حالة شلل اقتصادي تـام وكان المنتوج الزراعي صفرا والاغواه آلاكلة تزداد باستمرار . والاتصال بالعالم الخارجـــي لنقل انباء الثورة واستدرار العطف كان ينزل في مستوى حاجة الثورة الي السلاح والغذاء لان الحكومات العراقية احكمت ضرب الطوق الفكري علي كردستان مثلما احكمت حصارها الاقتصادي .

(٥) تسليح الجيش العراقي بأسلحة عصرية وحديثة فتاكة باستمرار وضد عهد قاسم . كان من قبيل انزاح الثقيل الاضرار علي مواجهة آلة الحرب العراقية الجديدة ولاسيما بعد ١٩٧٤ بالسلاح الذي توفر للثورة منذ بدايتها .

ان الثورة الكردية بموقعها الجغرافي وظروفها السياسية والاقتصادية كانت أحوج الى العون الخارجي من اية ثورة من الثورات الحديثة . ولنعد الي الواقع ، الى تجربة الشعوب التي حررت نفسها ونالت حقوقها القومية بقوة السلاح ، لنعد الي التاريخ القريب ولنترك جانبا ، الخيال والجرى وراء النظريات والمبادىء المجردة .

ان كل الثورات التحررية باختلاف اتجاهاتها واهدافها (لاسيما بعد الحرب العالمية الثانية) بدأت بالاعتماد على نفسها الا انها كانت أقصر باعا من ان تخوض غمرات الكفاح المرهق الي النهاية معتمدة علي مواردها الخاصة في هذا العصر الذى اصبح تطور الاسلحة يجعل من أصغر الدول قوة يعتد بها لاتستطيع مجابهتها ثورة شعبية داخلية والمبررات وفيرة . فالشعوب الثائرة كانت قد بقيت فترات طويلة وهي مستعبدة مستغلة مجردة من وسائل المقاومة والحركة ومواجهتها عصر سباق علي التسلح والفوز باحدث الاسلحة التي كانت تتطور بسرعة خاطفة . ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان الجيش العراقي ابدل وعزز من اسلحته ثلاث مرات . في ١٩٥٢ — ١٩٥٥ زود من جانب بريطانيا وامريكا باسلحة من الحرب العالمية الثانية بما فيها الطائرات . وفي ١٩٥٨ احدثت الثورة انقلابا في سلاح الجيش بعد ان أنشا النظام الجديد علاقات وثيقة مع الاتحاد السوفياتي ففتح السوفييت مخازن اسلحتهم بوجه الحكم العراقي وعقدت صفقات هائلة بما يشبه المجان وفي ظرف سنتين فقط بعد اعلان الثورة اصبحت الهوة سحيقة بين اسلحة الثورة البدائية والاثرية وبين سلاح الجيش العراقي .

ان استمرارية الثورة وضعف جبهة (اللواء قاسم) الداخلية اقلقت بال اصدقائه السوفييت ولهذا فحسب اخذوا عليه تسرعه واستمراره في الحل (العسكري) للقضية الكردية دون ان يقطعوا عنه سيل الاسلحة . وعندما بدأت المؤامرات على حكمه وادرك الاتحاد السوفياتي ان الثورة لن يدب فيها وهن وستبقي صامدة ، انتهز (نيكيتا خروشجوف) فرصة وجود الوفد العسكرى العراقي الذى سافر الي موسكو في اواخر ١٩٦٢ لطلب المزيد من السلاح وابلغه ان الاتحاد السوفياتي سيعيد النظر في شحن الاسلحة ان بقي (قاسم) مصرا على الحل العسكرى . فبادر (قاسم) من جانبه ليعلن فترة هدنة من جانبه فحسب ، ولقي مصرعه بعد ايام قلائل دون أن يعرف احد ماذا كان يدور في خلده من حل .

وشن الحكم الجديد الحرب علي ثورة كردستان في حزيران ١٩٦٣ مستعينا هذه المرة بالجيش السورى (لواء اليرموك) الذى عبر الحدود العراقية واخذ مواقعه بجانب الجيش العراقي في الجبهة .

دولة تساعد أخرى لقمع ثورة داخلية فيها .

وثورة يؤخذ عليها التماس العون الخارجي .

ماذا كان على الثورة ان تفعل وماهو الطريق الذى كان علي قيادتها ان تسلكه ؟

ان الاصرار علي الاعتماد على النفس ، هذا (التزمت البيوريتاني) الذى التزمت به قيادة الثورة منذ البداية ، اصبح الآن محض حمق وقصر نظر سياسيين .

كان من الطبيعي ان يتخذ الحكم الجديد (عبد السلام عارف) موقفا عدائيا منوبا بالحقد من السوفييت . لقد بدء بمقتلة في الشيوعيين لم ير الشرق الاوسط لها مثيلا ، تنفيذا للتعهد الذى قطعه للجهة التي اوصلته الي الحكم . وساءت علاقاته مع الاتحاد السوفياتي الى درجة هددت بقطع العلاقات الدبلوماسية . وهنا قوى امل الثورة الكردية بعون السوفييت . ان الثورة الكردية هي ثورة تحررية تقدمية تقوم علي سواعد الفلاحين وتتوفر فيها شروط الثورة طبقا للماركسية اللنينية والحكم الجديد حكم رجعي شوفيني لا يخفي علاقاته بالغرب بل يحاول توثيقها وحل العرى السابقة مع العالم الاشتراكي .

الا ان الاتحاد السوفياتي لاسباب تتعلق باستراتيجيه السياسي لم يفقد الامل في الحكم الجديد فحاول الاحتفاظ بمواقعه او بجزء منها في العراق عن طريق (عبد الناصر) ولم يكن اقترابه من الثورة الكردية في ذلك الحين الا واحدة من وسائل الضغط علي الحكم الجديد في هذا الاتجاه . فضلا عن المقابلة التي تمت بين (خروشجوف وعبد السلام) بمناسبة افتتاح سد أسوان . الا ان زوال حكم عبد السلام عارف الذي اصغى الى نصح (عبد الناصر) وعقد كارها هدنة مع الثورة فترة من الزمن في محاولة منه لوقف النفوذ السوفييتي اليها ، أحيا الامل في نفوس السوفييت باعادة مواقعهم في العراق على عهد (عبد الرحمن عارف) . وعندما تطلع هذا الحكم الي السلاح الفرنسي وبدء بمفاوضاته الجدية حول ذلك سارع الاتحاد السوفييتي الي عرض اسلحته كما بدء يحاول التقرب من ايران التي بدأت تمد الثورة بالمساعدات بشكل متصاعد وجدى .

وانفتح حكم (البكر) علي الاتحاد السوفياتي بشكل غير منتظر وعقدت معاهدة صداقة وتحالف وبادر الاتحاد السوفياتي الي امداد الحكم العراقي الجديد باسلحة حديثة أثارت القلق في نفوس الدول المجاورة لان انواعا منها ولاسيما الطائرات المتطورة والصواريخ كانت تعتبر سرا حربيا سوفييتيا ضن بها على حليفاته من دول الكتلة الشرقية .

كانت استمرارية الثورة تتوقف علي الدعم الخارجي والدعم الكبير . كان علي الثورة ان تستفيد من الخلافات والخصومات

الدولية ومن التعقيد في سياسات الشرق الادني وبكلمة اخرى من الصراع على مناطق النفوذ . وفي نظرنا اذا صح لوم الثورة فليس لانها نشدت العون الخارجي بل لانها أبطأت في الاستفادة منه . ان حرص القيادة الاولى على (لاانتمائية الثورة) كان نأتيا من الوهم بان الدعم الخارجي سيفقدها استقلالها الفكري وسيحملها على التنازل عن مبادئها واهدافها . وكذلك كان مبعثه الخوف على سمعتها عند الاحزاب والفئات السياسية الوطنية في العراق واتهامها بالرجعية والعمالة اذا جاء العون من دول العالم الغربي واصدقائه وكانت تخشى ان تتهم بالشيوعية واليسارية والالحاد الخ . . . من جانب عناصر سياسية قومية اخرى بحسب ظروف وامزجة الحكومات العراقية . لقد توارثت هذا الخوف الموهوم القيادة اللاحقة التي خلقها البارزاني فكانت تخجل وتستتر وتتكتم بسكوتها عن هذا العون كما لو كانت ترتكب جريمة بحق مبادئها وبحق الشعب الذى تتولى قيادته . في الواقع ان (الاتهام) بقبول العون من الغرب سبق هذا الدعم بوقت طويل اذ نشر الحزب الشيوعي فرع كردستان في ايلول ١٩٦١ بيانا وصف فيه الثورة " بأنها ثورة برجوازية اقطاعية تحركها أصابع الاستعمار ضد الحكم الوطني وتقودها حفنة من الشيوخ والاقطاعيين الذين تضرروا من قانون الاصلاح الزراعي وفقدوا امتيازاتهم في العهد الجمهوري " . ووصفها القوميون بعد زوال حكم (قاسم) بانها " اسرائيل ثانية وخنجر مسدد الى ظهر الوطن العربي " .

مع ذلك سكت الحزب الشيوعي ومن ورائه اعضاؤه الذين كانوا يقاتلون في الجبهة رغم معرفتهم بان الطعام الذي يأكلونه والكساء الذى يرتدونه والاسلحة والاعتدة التي يقاتلون بها بل العناية الطبية هي من ثمرات دعم العالم الرأسمالي والرجعية والامبريالية في هذا الوقت بالذات وبعد ان زادت المساعدات الخارجية عمقا وحجما كانت الثورة في ادبيات الشيوعيين ((ثورة تقدمية تحررية تعبر عن أماني الشعب الكردى وتطلعاته خير تعبير وتمثل خير تمثيل كفاحه في سبيل اثبات حق تقرير المصير الذى ظل الحزب الشيوعي يطالب به لكرد العراق منذ تأسيسه باعتباره مبدأ مقررا من مبادئ الاممية الشيوعية)) .

ولنعد الى أصل الموضوع . فبعد ان ساءت العلاقات بين زعماء انقلابي شباط ١٩٦٣ وتشرين ١٩٦٣ وبين الاتحاد السوفياتي خيل للثورة الكردية انها تستطيع التماس العون من الاتحاد السوفياتي . كان العدو يؤلب عليها ويحاول محاصرتها من كل جانب في الوقت الذى كان الانشقاق الداخلي يهددها بالدمار والهلاك في هذا الوقت بدأت المباحثات حول الوحدة العربية الثلاثية (المصرية ـ العراقية ـ السورية) في القاهرة ولم يعد في اجهزة دعاية (عبد الناصر) موضع اهتمام وعطف على القضية الكردية وصرح احد مندوبي الثورة الكردية قائلا " أحب ان اقول لك اني اولا ضد اية عملية انفصالية في اى وطن عربي وستقاوم الجمهورية العربية المتحدة اي اتجاه من هذا النوع مهما كانت الظروف (واضح انه يعني ضمنا ان كردستان العراقية هي جزء طبيعي من الوطن العربي ـ قضية الاكراد في شمال العراق امين سامي الغمراوى ص٤٠٧)

ولقد تكرر هذا في ١٩٦٦ ببيان للقيادة السياسية الموحدة المصرية ـ العراقية الذى أكد بشكل جازم في مادته الخامسة " تؤكد القيادة السياسية الموحدة وحدة التراب العراقي وتقف في وجه اي محاولة خارجية او داخلية لفصل او اقتطاع اى جزء منه وهي في سبيل ذلك تساند العراق لانهاء التمرد القائم في جزء منه " .

بقي هذا الثلث العظيم يساور الضمير العربي المتأثر باتجاهات حكوماته . وفي أفضل الاحوال اى عندما تكون دولة عربية ما على اسوء العلاقات مع الحكم في العراق اوحتى مهددة منه فانها كانت تخشى على سمعتها (العربية) . اذا مدت يد العون للثورة الكردية . طلب من رئيس دولة عربية كان يتمنى زوال النظام العراقي ويعمل لاجله ، ان يدعم الثورة الكردية فنجاحها سينيله مايصبو اليه فأجاب " اجل اني اعطف على الكرد وادعو الله لنصرتهم ، لكن ماذا سيقول عني سائر العرب اذا انكشفت مساعدتي للكرد ضد العرب " ؟

فضلا عن هذا كله فان سرعة العداء والصداقة بين الانظمة العربية المختلفة والخوف المتبادل فيما بينها كان يحث تلك الانظمة على اهتبال الفرص للدخول في مزيدات ومسابقات قومية ومنافسة احدها الآخر على رفع الشعارات القومية العربية الاكثر تطرفا . الامر الذى كان يجعل الاعتماد الثابت على اى دعم عربي على فرض امكان الفوز به ، محفوفا بالمخاطر بسبب الانقلابات الفجائية وتغير سياستها السريع .

لقد حاولت الثورة الكردية منذ بدايتها حتى نهايتها لفت انظار الرأى العام العربي والحكام العرب وكان الفشل حليفها . ووجدت ثم حالات كانت بعض الانظمة العربية المعادية للحكم العراقي تكيد للثورة تقربا من ذلك الحكم وطمعا في تحسين علاقاتها به . مع كل هذا فليس بوسعنا اطلاق هذا الحكم على سائر سياسات الحكام العرب طول الفترة الزمنية التي عاشتها الثورة . فقد أجبر تصاعد الشعور القومي الكردى في كل مكان وصمود نضاله المسلح ـ الكثير من الاوساط العربية

السياسية علي اتخاذ مواقف ايجابية جدا من الحركة الوطنية الكردية وان دخلت هذه المواقف احيانا في نطاق السياسة العدائية العامة الموجهة ضد نظام الحكم العراقي .

ان الانعطاف الجوهري الحاد العقائدي الذي اتخذه الحزب الحاكم في العراق وان كان مناورة مكشوفة لمواجهة الثورة سياسيا لغرض القضاء عليها الا انه علي كل حال اقرار رسمي من الفريق المعادي وهو سلطة شرعية ، كان علي القيادة ان تتسلح به بعد صدوره مباشرة وقبل بدء مفاوضات آذار وانثناءها وتتخذه أداة للتقرب الى العالم العربي وتنمية شعور العطف عليه ورسالة توجيه وتفهيم لتلك الانظمة العربية التي كانت تقف بالمرصاد لنظام الحكم العراقي وتطمح الي ازالته . لكنها بادرت الي الاتفاق علي بيان آذار دون تريث وانتظار ردود الفعل العربية . ولو انتظرت القيادة وكانت علي شيء من الاناة وبعد النظر فلاشك انها كانت ستجد عونا لها من تلك الانظمة العربية ودعما معنويا على الاقل يخيف نظام الحكم في العراق ويدفعه بالنتيجة الي المزيد من التساهل واعطاء الضمانات لشروط الاتفاق علي الحقوق القومية أكثر مما تضمنه بيان آذار نفسه . فضلا عن ان هذا الاتصال سيكون وسيلة واداة للتقرب من تلك الانظمة العربية .

كانت قيادة الحزب والثورة السياسية تبني خطوط تحركها علي فروض مغرقة في التفاؤل والخيال ونظريات ومعطيات مبالغ فيها . لاتخلو من ضيق أفق وتزمت يبلغ بها حد الانجماد الفكري والعناد الطفولي الذي ينقلب فجأة وعند طرو حالة سياسية غير متوقعة ـ الي لين استسلامي تام وشلل في التفكير .

لم يكن احد يفكر او يجرء علي التصريح برأيه ان كان يفكر فعلا) بامكانية تقارب وجهتي النظر الايرانية والعراقية وانهاء النزاع السياسي بينهما علي أساس التنازل العراقي التام عند جميع المطالب الايرانية . اذ كان بيد والحزب الحاكم فسي العراق مصمما حتي الموت علي عدم التنازل عن وجهة نظره باي شكل كان . كانت التحركات السياسية نحو هذا الاتجاه بما فيها الوساطات الدولية قائمة بين الطرفين قبل سنتين من نهاية الثورة . بل التعليق في مغزى الاجتماعات التي كانت تعقد بين الطرفين في بعض العواصم وتتطوع أكثر من حاكم عربي بالوساطة .

لم يكن امام الثورة من سبيل انذن الا اطلاب العون ، العون السريع والكبير ، وغير المشروط .

الثورة تجابه اسلحة عصرية متقدمة باسلحتها القديمة .

الثورة تتسع لتشمل مناطق كردستان كلها . والجيش والقوات النظامية وغير النظامية يدفع الي قلبها وهو في زحفه عشرات الالوف من المشردين المعوقين والافواه الآكلة .

الثورة لاتجد لها نصيرا من العالم العربي .

الثورة مسجونة في نطاق حصار فكري واقتصادي وجغرافي

ولذلك قبلت بالمساعدة الايرانية . لقد اخترق رئيس الحزب حاجز التردد والخوف الذي كان يساور القياديين واتخذ هذه الخطوة متحديا ومجتازا جميع العقبات فانقذ الثورة وهي في أحرج اوقاتها تشكر آثار التصدع وتقف علي شفا الانهيار . لقد اختار أنسب الظروف لذلك وسكت عن انتقادها والتنديد بها من كان يجد نفسه أحق الاطراف السياسية بالتنديد والانتقاد ـ واقصد بذلك شيوعيي العراق والاتحاد السوفياتي . لقد كان هذا العون بنوع خاص يتمشى مع الخط السياسي السوفييتي في علاقاته بالنظام العراقي ويرتزق له ، لان اطراد المساعدة الايرانية والاميركية (فيما بعد) للثورة سيزيد من اعتماد وانكال الحكم العراقي عليه ولذلك لم يكن بعجيب (وان بدا كذلك للسذج) ان يستمر الاتحاد السوفياتي في ارسال مساعداته المادية للثورة (علي صعر خدها) في نفس الوقت الذي كانت تتدفق فيه مساعدات (الدول الرأسمالية الرجعية) . ولم يكن بالعجيب ايضا ان تتفق صحافتا العالمين الغربي والشرقي علي اتهام الثورة الكردية بخير ما لديها من نعوت العطف والتشجيع . انه لانجاز كبير في ميدان التعامل السياسي . راحت قيادة الحزب تهلل وتصفق له مطرية حكمة رئيس الحزب وثاقب نظره السياسي وسارعت لتقف بوجه المعارضين والمستنكرين والناقدين (ومهما كان اظهم) موقف المدافع عنه الي آخر لحظة من عمر الثورة .

استمرت المساعدة الايرانية للثورة بشكل متصاعد ومطرد باطراد الانهزامات والانكسارات التي كان يعانيها الجيش الثوري الكردستاني في سائر الجبهات بعد استئناف القتال في آذار ١٩٧٤ .

ان الانقسام داخل القيادة كان واضحا ظاهرا لكل ذي عينين ، لايتورع اعضاؤها عن التشاتم والكشف عن العيوب والنقائص ونشر الفضائح كل وراء ظهر الآخر وعلي ملاء من الناس ليجتمعوا بعدها مباشرة كل يبتدي قناعا من المجاملة والود الكاذبين فاي فكرة نيرة مفيدة واي قرار صالح تتوقعه للثورة والحزب من قيادة كان شغل افرادها الشاغل تسقط الهفوات او التستر على اخطاء بعضهم بعضا . لقد سرى الانحلال الخلقي في القادة العسكريين (خلا قلة) وكان مثيرا له ان يتسرب ويتفشى

بين صفوف افراد الجيش الثوري الكردستاني وأصبح داء قتالا امتص كل حماسته ومعنوياته خلال اعوام ١٩٧٠ – ١٩٧٤ واصاب قوته القتالية التي أكسبته شهرته العالمية واوقعت الرعب في قلوب اعدائه ، بالشلل والتحلل وانطوت اسطورة البيشمركة اذ بعد ان كان يسترخص كل دمائه أصبح وهو يضن بقطرة واحدة منها . وبعد ان كان يعد التعاسب والجوع حلية وشرفا ويتنافس اخوانه فيهما غدا يحاسب آمريه بجرأة وبخل على مقدار ماينالط به من عمل ومايعطى من مال وارزاق بالنسبة للآخرين ولايتردد من انتهاز الفرص للتهرب من الواجب . ولم يعد الجبن ورفض القتال يشار اليهما وينتقدان بل صار الاقدام والشجاعة يفتقدان ليحمدا ويثنى عليهما .

كان في سلوك البيشمركة هذا منطق الحقيقة ، وله فيه مبرر . سئل احدهم في معرض الانتقاد فأجاب « لماذا يطلبون مني ان اقاتل واسفك دمي وفي سبيل من ؟ لاجل ان يكون (صلاح) وزيرا ولاسهل علي (حسن) اعمال السرقة والنهب والتجارة ؟ ليصبح (سعد) غنيا وليكون (سعد) محافظا ؟ كلما هممت بتسديد بندقيتي الي عدوي وعدو امثي لاأجد امامي غير (سعد وسعيد) »! .

وقبع معظم القادة والآمرين العسكريين في المؤخرة وفي كهوف جبلية أمينة تتوفر فيها اسباب الراحة والحماية ويحيطون انفسهم ببطانة وطفيليين يستعينون جميعا علي الوقت بمعاقرة الخمر وكل منهم ينتظر نوباتهم للسفر الى ماوراء الحدود للاجتماع باهلهم وذويهم وقضاء اجازة طويلة . وبين هذا وذاك كانوا ينقلون انباء الجبهة بشكل مضلل الي المقر والمراكز المسورة لاعطاء صورة براقة مطمئنة عن الجبهة .

لقد عمت الفوضى وفقدت المسؤولية الي درجة لايصدقها العقل المنظم ولايستسيغها وظهرت بوادر العصيان والتمرد علي الاوامر وفقد قواد الجبهة السيطرة علي وحداتهم ولم تعد كلمتهم مسموعة بل كانوا هم انفسهم يخشون اصدار اوامر بالهجوم او التقدم او التمركز اوالقتال خوفا من عصيان علني يفقدهم بقية سلطة كانوا يتوهمونها ولم يبق منها غير الاسم والمظهر . ان السنوات الاربع التي قضوها راكضين وراء جمع المال بأية صورة كانت حتي ولو ببيع اسلحة الثورة وعتادها ، حطت من قدرهم وافقدتهم هيبتهم الي الدرجة التي حطت المركز علي اتخاذ قرارات نقل وعزل مثلاحقة بحقهم .

ابتدء القتال دون ان يكون لدى الثورة خطة عسكرية مبهمة او واضحة اللهم الا (الصمود والدفاع ومقاومة الهجوم) لقد تغير القتال بشكل جوهري حاد ولم تعد الحرب حرب انصار تقوم بها جماعات صغيرة بل اصبحت حربا ذات خطوط ثابتة وجبهات واضحة تستعمل فيها كل انواع الاسلحة العصرية الخفيفة منها والثقيلة . لقد التحق بالثورة أكثر من ثلاثمائة ضابط وضابط شرطة من قوات الجيش العراقي من رتبة أمير لواء فما دون معظمهم ان لم نقل كلهم متحمس مستعد التضحية والفداء لم تفسدهم سنوات الهدنة الاربع .لقد اجتذبهم الي الثورة شعورهم الوطني وكرههم ان يطيعوا اوامر بقتال اخوانهم وبني جلدتهم وسفك دمائهم فضلا عن سمعة الثورة الداوية وانتصاراتها السابقة – فعدوا التحاقهم بها فخرا وواجبا . عدد لايستهان بهم كانوا من ضباط الاركان ومن ألمع قادة الجيش، فماذا فعلت بهم قيادتنا وكيف أفادت من خبرتهم وحماستهم ؟ المظلمون جميعا يعرفون كيف استخدم هؤلاء . كان وجودهم في جسم الثورة مصدر قلق شديد عند الآمرين والقادة العسكريين القدماء اذ عدوا وجودهم خطرا يهدد مراكزهم وسمعتهم ووسيلة للتكشف عن عجزهم . لقد ادركوا بمنطق مبرر ان استخدام هؤلاء الضباط استخداما صحيحا والافادة من كفاءاتهم وحاسمهم ولدفاعهم سيكشف قصورهم وعجزهم ويفقدهم مراكزهم التي استخدموها للاثراء والربح الحرام . وسرعان ماراح هؤلاء الضباط ضحية للكيد والدس ووجدوا انفسهم في مراكز ثانوية ومقرات كتابية وكان أسعدهم حظا من انيط به مهمات تدريبية خلف خطوط الجبهة . وفي حالة تعيين احدهم في مهمة قتالية فانه يجد نفسه تحت أمرة عريف عسكري سابق او نائب ضابط هارب او مفوض شرطة او عشائري امي . وانتظر عدد كبير منهم ان تناط به مهمة حتي نهاية الثورة يقضي الوقت في الزيارات وشرب الشاي والقهوة .

كانت مأساة مخجلة واسعة النطاق حالت دون تغذية الجيش الثوري الكردستاني بدم جديد مندفع متحمس مدرك واجبه العسكري متعود علي الطاعة وتنفيذ الاوامر بدون أن الاحجام عن القتال جناية عقوبتها الموت . كان للقيادة كل المبررات لاستبدال القادة العسكريين القدماء بالضباط الجدد او على الاقل بتطعيمهم بهم ، لاسباب كثيرة منها ان الثورة في بدايتها كانت تفتقر الي هذا العنصر وكان تعيين معظم قادتها وضباطها العسكريين (ماعدا قلة منهم وصلوا اليهما بشجاعتهم ومؤهلاتهم) بدافع من الضرورة ولاسباب عشائرية بحتة ومنها ان الحرب في السابق كانت حرب انصار لاحرب جبهة ثابتة ، في حين أصبحت بعد ١٩٧٤ حربا حقيقية يصعب علي القادة القدماء استيعابها وتخرج عن دائرة ادراكهم العسكري . ووقع مالابد من وقوعه : انقسم الضباط علي الثورة وانقسموا علي أنفسهم وملئت قلوبهم بالضغينة ومرارة الذل الذي كان ينغل فيهم فعل السم في العروق وقد حيل بينهم وبين ماكانوا يطمحون الي تقديمه لشعبهم من خدمة بعد التضحية

بمناصبهم العسكرية وبالعيش المضمون المرفه وبالتعرض للموت الاكيد عند وقوعهم في يد العدو ناهيك عن فراق الاهل .

قلنا لم يكن للقيادة خطة عسكرية بمواجهة الهجوم العام الذي شنه حكم بغداد ، الا اذا اعتبرنا الدفاع الاعتباطي خطة . ولذلك مني الجيش الثوري الكردستاني بهزائم سريعة متلاحقة علي جميع المحاور ففي غضون الايام القلائل الاولى شتت شمل هيز (دشتي هه ولير) الذي كان يسيطر علي سهل اربيل ومنطقة التلال حتي جبل شفين وانهزم هيز زاخو الذي كان كان يسيطر علي منطقة تمتد من المفرق (٤٥ كيلومترا غرب الموصل) حتي دهوك ومنطقة زاخو جميعها ، انهزم الي ما وراء زاخو ولاذ بقمم الجبال القريبة من الحدود ولحقت الهزيمة بهيز دهوك الذي كان ينتشر من دهوك حتي مدينة الموصل الي ماوراء جبل دهوك . وفرهيز (بيتواته) دون مقاومة الي ماوراء (كويسنجق) وكان يسيطر علي هذه المدينة حتي مشارف (مدينة كركوك) . ونكص هيز (رزگاري) علي اعقابه بعد مقاومة صورية الي ماوراء جبل (قره داغ) وكان يسيطر علي المحور المنيع سليمانية ــ قره داغ ــ جمجمال . هرب البيشمرگة دون ان يبذلوا قطرة واحدة من الدم في مقاومة جدية . البشمرگة الذين كانوا مصدر الاينضب لدعاية الثورة وفخر الشعب الكردي واعتزازه بدت خائرة العزائم فاقدة المعنويات تتهرب من القتال وتجبن عن الاشتباك مع العدو ! ثم اخذت المواقع المحصنة وذات المناعة الطبيعية التي كان الجيش العراقي لايحلم باقتحامها يوما من الايام تسقط بيده الواحدة تلو الاخرى اما بدون قتال او بانسحاب سابق لهجوم موهوم . او بابداء مقاومة صورية لتبرير الانسحاب . وبمقابل ذلك بدت قوات الجيش العراقي قوية العزم مستعدة للتضحية وتحمل مشاق القتال أكثر من اي وقت مضى .

حقا لقد أبدت وحدات عسكرية معينة من البشمرگة في اثناء الساعات الاخيرة من القتال ضروبا من الشجاعة والصمود مذكرة بامجادها الماضية ولاسيما بعد ان بدت النهاية المحتومة ماثلة للعيان فاوقفت تقدم العدو وكبدته خسائر هائلة . الا ان هذا كان انجازا عفويا موضعيا لايمكن القياس عليه في جبهة متعرجة معقدة امتدت اكثر من اربعمائة كيلومتر .

كان الوضع العسكري في غضون الاشهر الثلاثة الاخيرة من عمر الثورة ميئوسا منه . وحاول الجانب الايراني انقاذ الموقف بتدخل حقيقي من مدفعيته الثقيلة . واصبح الانهيار ماثلا للعيان وافتقد البشمرگة في خطوط القتال ولم يكن في الجبهة ثلث العدد المسجل رسميا بسبب التهرب من القتال بحجة المرض او التمارض او قضاء الاجازات بالآلاف مع الاهل وراء الحدود . ولم يكن قد بقي من كأس الذل غير ان يتدخل صنف المشاة من الجيش الايراني لتصبح الدولتان في حالة حرب غير معلنة .

في اي وقت ومن الاوقات كان تعداد البشمرگة وراء الحدود بالعلل والحجج التي ذكرناها مالايقل عن عشرة آلاف ولم يكن في وسع القيادة او احد محاسبة هؤلاء لتغيبهم عن جبهات القتال او بجرأة علي رفض طلبات الاجازات لان القيادة وسائر البارزين في الثورة كانوا قد ضربوا اسوء مثال للانانية وحب الذات لهم عندما اسرعوا بنقل اهلهم وأثاثهم الي منازل مريحة وراء الحدود ما ان بدأت القاصفات العراقية تحلق في سماء كردستان . واعقبوا ذلك بمنح انفسهم الاجازات الدورية والمستمرة للحاق بهم .

كان يمكن ان توصف الحركة المسلحة الكردية باي وصف عدا الوصف (بالثورة) .

هذه الحركة التي ولدت في احضان البؤس والفاقة وترعرت واشتد عودها بفضل التضحية والبذل دون مقابل ونكران الذات تنتهي لابتحقيق أهدافها الوطنية وانما باغراق قادتها واصحاب الحظوة والمتزلفين والمتملقين والاقرباء والبطانات بالمال الحرام وبالترف لتختنق بالاسراف وسوء التصرف والخيانة وفقدان الانضباط والتسيب وانعدام روح التضحية .

ان الثورة الكردية كانت جثة ميتة قبل اتفاق الجزائر . وفي افضل الاحوال كانت تعالج سكرات الموت ولم يكن هذا الاتفاق الا رصاصة الرحمة Coup de grace وضع نهاية لانهيار أكيد لاشك فيه وجنبنا المزيد من سفك الدماء والمآسي.

ان القرار الذي اتخذه قائد الثورة والحزب كان قرارا صحيحا . القيادة كشأنها في الساعات الحرجة لاتجد في نفسها الشجاعة لاتخاذ قرار جسيم يطيح صفحة من النضال الكردي وبدت مشتتة ضائعة اللب لاتستقر علي رأي كالعادة . مثلما كانت تتردد وتحجم عن اتخاذ القرارات الحاسمة . فانبرى هو وحده ليتحمل المسؤولية وتبعاتها الجسام وهو يعلم جيدا ان هؤلاء الذين احجموا في تلك الساعة العصيبة وتركوا له اتخاذ هذا القرار المر سوف يصرخون حتى تخرج اعينهم من احداقها بانهم أبرياء من هذا القرار وان رئيسهم استقل به في حين كانوا يحبذون مواصلة القتال الى . . . آخر جندي من البشمرگة ماتداهم . . . لكن لهذا قصة سنأتي الي تفاصيلها فيما بعد .

كان البارزاني عظيما في ساعة الهزيمة مثلما كان عظيما في ساعات النصر .

ان اتفاق الجزائر فضلا عن ذلك منح بعض قيادي الثورة والحزب الذين مازالوا يتمرون ان دورهم في قيادة الحركة الوطنية مستمر ولم ينته ، العبر امام غير المطلعين على الحقيقة لمحاولة اعادة اعتبارهم عند الامة الكردية كما أعطى آخرين فرصة لاتثمن لنقل التبعة في التقصير الى الغير متخذين منه اتفاق الجزائر مأخذه (معاوية) من قميص (عثمان) .

ان لكل دولة من الدول سياستها الخاصة المبتناة على مصالحها اولاً وآخراً ، وتلك السياسة تعتبر ناجحة او فاشلة بمقدار ماتحقق من مكاسب في الداخل وفي الخارج ورجل السياسة في هذا العالم المتكالب على المغانم الخاصة والعامة لايلام اذا الحق الضرر بالاخرين وهو ماض في طريقه الى تطبيق خطته السياسية والوصول الى الاهداف التي رسمها . وميدان السياسة العالمية أشبه بميدان لعبة جر الحبل. الرابح من الفريقين المتباريين من يفلح في سحب عقدة الحبل الوسطى اليه غير مبال بما يصيب الفريق الآخر وغير مشفق عليه . واذا تهاون او أرخى من قبضته خسر اللعبة وأصبح موضع سخرية ولوم ليس من الاخرين وحدهم بل من الجانب الذى ينتمي اليه ذلك الفريق . والاتفاقات السياسية المبنية على التعاون مرتهن بالمصالح المتبادلة . فاذا انتفت هذه المصالح انفك الارتباط . ليس ثم علاقة سياسية ما مبنية على مجرد العاطفة او مرتكزة على مبادىء الفضيلة والاخلاق . ان تاريخ العلاقات الدولية الطويل يؤكد لنا بان الضمان الوحيد لتطبيق المعاهدات والاتفاقات بين الدول لم يكن في يوم من الايام غير المصالح المتبادلة . وليس ثم مكان لشرف الكلمة واحترام التوقيع هنا . والدول عادة لاتتحرج من خرق معاهدة او النكول عن اتفاق وانهائه عندما تجد معادلة تبادل المصالح قد اختلت ولو قليلا لغير صالحها .

هذا بخصوص التعامل السياسي بين الدول ذات السيادة ، فكيف بالتعامل بين دولة وثورة لاتتمتع بكيان سياسي خارجي او داخلي ؟

ان عنصر الخطأ في تقديرات القيادة كان واضحا منذ البداية . فاقدام ايران أو غير ايران على دعم الثورة ومدها بالمساعدات الجسيمة . لم يكن سببه انها تكن حبا خاصا للكرد ، وانما كانت تعمل بما تمليه عليها مصلحتها واستراتيجيتها السياسي الذى رسمته لنفسها كأية دولة أخرى مسؤولة عن أمنها الخارجي والداخلي ومستقبل شعبها .

ان قيامنا بتحليل الاسباب والدوافع السياسية التي حملت ايران وغيرها على دعم الثورة الكردية ومدها بالعون يخرج بنا عن موضوعنا . بكلمة مختصرة كان ثم مصلحة متبادلة ظرفية نجم عنها هذا الدعم . وكان يجب ان يعلم بان هذا الدعم مقدر له ان ينتهي بانتفاء تلك المصلحة . مصلحة الثورة من التعاون كانت ستنتهي بتحقيق اهدافها ومصلحة ايران كانت ستنتهي بنهاية نزاعها الاقليمي مع اى نظام عراقي مستعد للتسوية بالشكل الذى يتفق مع سياستها المرسومة . فما الذى اعدته قيادة الثورة لمواجهة مثل هذا الاحتمال الذى ما كان بعيدا ولا مستحيلا في كل ساعة ودقيقة ؟ هل افترضت كواقع ثابت ماستحالة التقارب بين وجهة نظر الدولتين ؟

ماهو وجه اللوم الذى يمكن توجيهه الى الثورة لقبولها الدعم الخارجي ان فشلت قيادتها في الافادة منه بشكل صحيح وبتوقيت له دقيق وحساب الاحتمالات أفضلها وأسوأها ؟ ان على القيادة ان تعلم بان الثورة هي في سباق مع الزمن وان الاخطار تحيق بها من كل جانب وان عليها ان تتشبث بكل فرصة لتحقيق اهدافها . لكنها ضيعت اربع مفاوضات مع اربع حكومات عراقية في عهود موهومة وشروط غامضة مطاطة وبيانات عقيمة .

وجدنا فيما سبق ذكره ان الثورة ماكان لها من سبيل الى البقاء والصمود بدون العون الخارجي فماهو ذنب العون الخارجي ان لم نحسن الافادة منه ؟ ماذنب العون الخارجي ان فقدنا ثقة اشقائنا على النفس ولم نستطع التوفيق بين الاثنين ؟ ماهو ذنب العون الخارجي ان استخدمناه للاثراء غير المشروع وبناء الثروات بدل استخدامه لمصلحة الثورة والشعب الكردي ؟ ليس هناك مساعدة تبذل (لوجه الله) وعلماء النفس انفسهم لايجدون عملا من اعمال الخير يقصد به مجرد الخير لاغير . ولا يستثنون من هذا ، ذلك الذى (يعطي بيمينه مالاتدرى به شماله) فيقولون ان مصلحته في ذلك هو رضا النفس وراحة الضمير او طمعا بغفران الخالق الخ . . . .

آلا فلنكن واقعيين قليلا . ان الدعم الخارجي ـ تدفق المال والسلاح على الثورة ـ دام سنوات ، خلال هذه الفترة ثارت عشرات من الشعوب ونالت لا حكما ذاتيا بل استقلالا كاملا بينما لم تتقدم الثورة خطوة حقيقية واحدة نحو احد اهدافها المتواضعة فأين هو العيب واين يكمن الخطأ ؟ عندما تراهن على حصان سباق مرة فيخسر وتراهن ثانية فيكبو وثالثة فينكسر ظهره اعتقادك ، لاتجد احدا ينتقدك ويرميك بالحمق او الخيانة ان حولت رهانك الى غيره .

ولتقدير حجم الدعم الايراني للثورة الكردية يجب ان لايغيب عن أذهاننا بان هذه الدولة تحتضن مايقارب ارحيمة ملايين من الكرد لايفصل بينهم وبين اخوانهم الثائرين في العراق غير خط الحدود !

اذا كان التفكك والانهيار في المعنويات والتفسخ الخلقي واضحا للقياديين في الثورة وللكثيرين من غير القياديين كما بيتنا آنفا ، فمن البديهي انه لم يكن بخاف عن الجهات التي كانت تقوم بدعم الثورة وتزودها بحاجاتها . وفي هذا الموقف الدقيق لم يكن ثمة مجال للاختيار . فان آثرت ايران سلوك سبيل التفاهم مع النظام العراقي بالشكل الذي يحقق مانطمح اليه وماتقتضيه مصلحتها ، هل يصح لنا ان ننعت عملها هذا (بالخيانة) ؟ وخيانة من ؟ من الاكيد انها لم تخن شعبها ولا سياستها . ومن الخطأ القول انها خانت الثورة الكردية لان كلمة الخيانة بالمعنى القانوني واللغوي والسياسي لايمكن ايرادها في هذه الحالة .

عندما يغرر جندي اومدني من جيشه اوبلاده ويلتحق بخدمة العدو فهو خائن . عندما تستأمن أحدا على سر او مال فيفضح سرك او ينكر مالك فهو خائن . عندما يتعاون الكردي ضد ثورة شعبه فهو خائن ، وهكذا فقس .

دولة وجدت مصلحتها تقضي بالغاء صفقة سياسية خاسرة وعقد صفقة اخرى رابحة ، أمر كثير الحدوث ولا يتنافى قطعا مع العرف والتعامل الدوليين او يتعارض مع قواعد الاخلاق السياسية . فكما انه من السخف اتهام ايران بالخيانة في العام ١٩٧٥ كذلك كان من الحمق اتهام الاتحاد السوفياتي بعين التهمة عندما تخلت في العام ١٩٤٧ عن الكيان السياسي الكردي في مهاباد . لقد اقتضت مصلحة الاتحاد السوفياتي اقامة هذا الكيان ورعايته وحمايته ومساعدته مثلما اقتضت مصلحتها التخلي عنه لمجرد حصولها على وعد غير محقق ببعض الامتيازات .

سيقول اولئك الذين يتمسكون باستعمال لفظة الخيانة لوصف اتفاق الجزائر وقطع المساعدات وغلق الحدود ان قصد كاتب هذه السطور واضح وهو الدفاع عن الموقف الايراني . لكنهم في الوقت نفسه مرغمون ان يقروا بانه دافع كذلك عن موقف الاتحاد السوفياتي . فليس ثمة فرق بين السياستين من حيث الاتجاه والنتيجة .

من هم اولئك الذين سأسلحهم بهذا الدليل عني ؟ هم ليسوا اولئك السذج والبسطاء من أبناء شعبنا الذين لم تسعفهم الظروف بالاطلاع على حقيقة احوال الثورة في فترتها الاخيرة وبعد بيان الحادي عشر من آذار ، على التفسخ الخلقي على انهيار المعنويات ، على الانشغال بجمع المال السحت والتهالك على المناصب . على الظلم العظيم والجرائم النكراء التي ارتكبها بحق ابناء الشعب الكردي المضحي ، اولئك الذين كان المفروض فيهم أن يحافظوا على حقوقه ويؤمنوا حريته . انني أقصد اولئك الذين ساهموا بالقليل اوالكثير من المآسي اوالذين وقفوا منها موقف المتفرج الصامت والذين كان في وسعهم عمل شيء فضنوا بجهودهم وآثروا السلامة خوفا .

ان للكثير من هؤلاء مصلحة أكيدة واضحة في صرف الانظار عنهم وعن مسؤوليتهم في النكبة الكبرى بنقل الذنب الى اية جهة أخرى ماعداهم . ان الهدف من التشديد طبعهم على (الخيانة الايرانية) يرمي الى تحويل التبعة عن كواهلهم . وهي من الحيل الساذجة التي رثت لكثرة الاستعمال .

ان لم يكن محتوى هذه الرسالة كافيا لتنير السبيل الى الحقيقة ، ان لم يكن كافيا فليتقدم اولئك الذين مازالوا يأملون في صفح الشعب الكردي ، ومازالوا يؤمنون بطهارتهم ونقائهم وتدرتهم على قيادة الشعب الكردي فيكشفوا عن الحقائق وليوضحوا الاسباب الصحيحة التي أدت بنا الى الكارثة . فتلك خير خدمة تقدم للقضية الوطنية وللنضال الكردي المسلح الحالي . ليكفوا عن رمي بعضهم بعضا بالتقصير والتهم فلكل حصته وهم لا يستطيعون بهذا انقاذ سمعتهم . ليقفوا عن جعل رئيس الحزب وقائد الثورة كبش فداء لاعمالهم ذنبا طونه وزر كل الاخطاء التي نجمت عن تناحرهم واحقادهم وقصر نظرهم وعمالة بعضهم وخيانة آخرين وجنايات غيرهم . لقد أوقف فيهم اندفاعات طائشة سيئة العقبى وحال دون نكبات كثيرة نتيجة لسوء التقدير وجاز انتصارات أثبتت اقدام الحركة المسلحة وجعلتها في مصاف الثورات التحررية التقدمية . اخيرا عندما حال المرض والتقدم في العمر بينه وبين المشاركة الفعلية في القتال والعيش بين المقاتلين الكرد البواسل والهاب حماستهم لم يتقدم أحد ليسد الفراغ وآثر الجميع السلامة متحملا وزر اعباء اتخاذ قرارات في امور أسي عرضها عليه ، اني في الواقع لا ادافع عن شخص هذا القائد والبطل القومي بل لا استطيع قط ان اتلمس له عذرا وامر مرور الكرام بغلطته العظمى ، غلطته في اختيار اعوانه وضباطه السياسيين والعسكريين في اختيار اولئك الذين انتهوا بخيانة الشعب الكردي او بالمساومة على حقوقه اوجر المنافع الخاصة لانفسهم وخيبوا الامل في الثقة التي وضعت فيهم ولم يحسنوا استغلال السلطة التي منحها لهم . ان لنا حسابا مع هؤلاء في المستقبل القريب وأي حساب .

+++ +++ +++

الخاتمة

اذا كان القارئ ينتوقع ان تنتهي رسالتي هذه بالاعلان عن (حزب سياسي جديد) او اقتراح خطة للنضال الوطني

ارطرح برنامج عمل سياسي للمستقبل ،فأعتقد اني مدين له بايضاح قليل عن قصدي الذي أشرت اليه اشارة عابرة في مقدمتي .

ان أشد المتفائلين واقلهم حذرا في اصدار الاحكام ،ماكان ليتصور ان ثورة مسلحة كردية جديدة ستندلع بعد ثمانيةعشر شهرا فحسب من اسدال الستار علي ثورة ايلول ١٩٦١ . هذه الثورة الغجيبة الحالية ولدت في ظروف لاتدانيها في القسوة والصعوبة اية ثورة أخرى . ولدت وقوات المنتصر المسلحة تحتل كل زاوية حساسة من أرض كردستان ، وقد أنشأت وكأنه في سباق مع الزمن القلاع والحصون في المواقع الستراتيجية وشق الطرق التعبوية لتسهيل حركات وانتقالات قواته الي مكامن الخطر بأسرع مايمكن ولوضع اختامه علي الحدود لتأمين العزلة التامة علي كردستان وزرع جواسيسه وعملاءه في كل مجتمع سكني وقرية واخلي مجتمعات سكنية وقرى كثيرة من سكانها علي طول خط الحدود وبالعمق الستراتيجي . بل نقل مئات الالوف من السكان اما الي مناطق في كردستان بعيدة عن مساقط رؤوسهم واما بسوقهم في رحلة تمتد مئات الاميال الي جنوب العراق . وباشر بدأب ووفق خطة بعيدة المدى بتغيير الطابع السكاني لارض الوطن اما بالتهجير القسري اليها او بالاغراء بالمال والامتيازات ، فضلا عن سلسلة اخرى من الاجراءات القانونية التي تهدف بوضوح الي محو القومية الكردية واذابتها في المجتمع العربي العراقي الغالب .

أضف الي هذا طبيعة الحكم نفسه التي تؤمن بالتصفية الجسدية كعلاج ناجع للقضاء علي المعارضة مهما بلغت من الضعف . وسياسة الحرمان والتجويع العامة التي تمارسها علي نطاق الوطن العراقي وبصورة خاصة في كردستان (تحت ستار السير بالاتجاه الاشتراكي) تلك السياسة من شأنها ان تشل المقاومة الروحية والجسدية في نفوس الجماهير وتقتل روح الثورة فيهم.

لم يكتف الحزب الحاكم بهذا كله للحيلولة دون قيام ثورة كردية أخرى بل عمد الي تغيير جوهري في سياسته الخارجية ترمي الي توطيد علاقات معينة بالدول علي حساب التضحية بشعاراته ومبادئه التي يزعمها ، ليضمن عدم تدخل خارجي او دعم لاية حركة مسلحة محتملة .

وفوق هذا كله علينا ان نضع في حسابنا مايعانيه الشعب الكردي نفسيا من آثار صدمة الهزيمة وجسديا من الخور في العزيمة والحرمان والتشتت والتهجير الجماعي ومرارة العزلة في الداخل .

من بين هذا الركام والانقاض ومن وسط كل هذه الشظايا برزت مقاومة الشعب الكردي حية ناشطة تتحدى كل التدابير الوقائية والامراض النفسيه لتثبت للعالم وللامة الكردية جمعاء الحقيقة التاريخية الازلية ـ انه لاسبيل قط للقوة الغاشمة الي خضد نضال شعب يريد التحرر .

فكيف نحافظ علي نواة المقاومة هذه وندعمها ؟

ان العدو هنا متشخص معروف . انه ماثل كحقيقة لايتطرق اليها الشك ومن الحصافة والحكمة ان لايبدد من الجهد المركز عليه اي طاقة في معارك جانبية داخلية او يوجه ضد اعداء مفتعلين لاي سبب من الاسباب اودافع من الدوافع، والمعركة الحقيقية والاصلية هي علي ارض الوطن علي كل حال ولايمكن خوضها في مكان آخر . الا ان الواجب يقضي علي العناصر الوطنية الواعية التي تعيش خارج ارض المعركة وتملك حرية العمل السياسي ان تدرك مهمتها ادراكا منزها بعيدا عن الاحقاد والاغراض الشخصية وهي مساندة هذا النضال والعمل بكل ماأوتيت من عزم وصلابة علي جمع الكلمة وتوحيد الصفوف ولم الشعث الذي انشعب اوصل في متاهات المبادئ والقيم والجدالات النظرية علي أكثر الفشل

ويود نا ان تضع هذه الاطراف الوطنية نصب عينها حقيقة واحدة علي الاقل وهي ان (وحدة الفكرة) او (وحدة الهدف) التي تقف وراءها الاغلبية من فلاحين وعمال ومثقفين لايمكن في مرحلة كفاحنا هذه ان تستبدل بوحدة المبدأ السياسي او تحل محلها (وحدة النظرية)

أخيرا علينا ان نتذكر انه من جملة الاخطاء المهلكة التي أدت الي فشل الثورة السابقة هو فقداننا تلك الثقة والاعتماد علي النفس اللذين بدأنا بهما ثورة ١٩٦١ لقد كان اعتمادنا علي النفس يتضاءل بنسبة اطراديه بزيادة اعتمادنا علي الدعم الخارجي وثقتنا العمياء بعدم انقطاعه عن يوما ما . لقد بلغ من اعتمادنا علي المساعدة الخارجية اننا لم نعد نجد ضرورة للاعتماد علي النفس فانتزعناه لاكأثمن حلية بل كأخلق ثوب والقينا به جانبا . ان عنصر الخطأ هنا ليس تطلعنا واطلابنا العون والدعم الخارجيين ولارضاهما . فهو كما برهنت الاحداث والوقائع التي أتينا الي ذكرها ضروري جدا في مراحل معينة من الثورة ، شريطة استخدامه بحذر وبعد نظر وبحيث لايكون له اي تأثير في مسيرتنا النضالية ولا في اهدافها !

اريد ان اقف هنا مهما بدت وتقتي فجائية اذ أخشي لواسترسلت خلف هذا المنوال أن انقلب الي واعظ اوناصح اومخطط وليس هذا قصدي من رسالتي الي الشعب الكردي كما اوضحت .